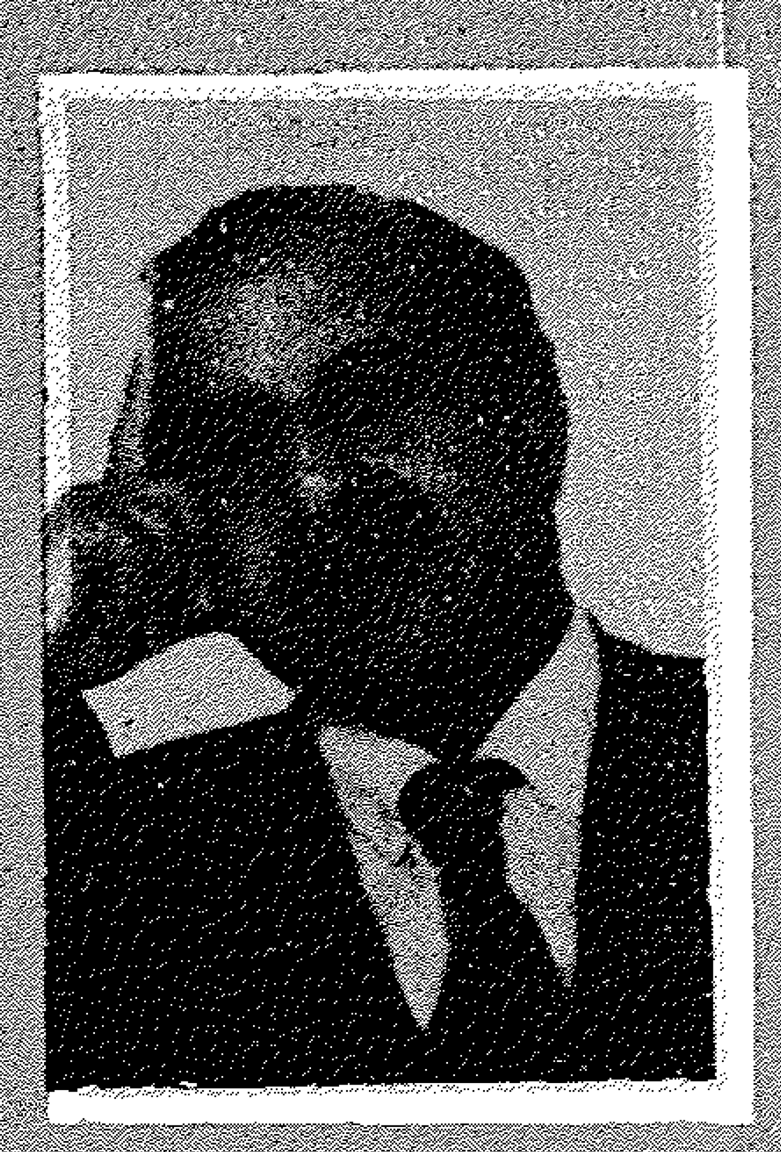


لمحات.. من ذكريات الطفولة

لواء عبد الله جزيلان



مكتبة مدبولي

لمحات..
من
ذكريات
الطفولة

لمحات.. من ذكريات الطفولة

لواء عبد الله جزيلان

مكتبة مدبولي

الطبعه الاولى
١٩٨٤

الاهداء

أهدى هذا الكتاب الى أبناء الجيل الجديد الذى نعلق عليه الآمال ..
أنه ذكريات طفولتى ..

وقد واكبت احداث وذكريات طفولتى التى عشتها فى تلك الفترة القاسية أحداث وطنى وكاتب هذه السطور يروى القصه لتلك الفترة المظلمة . كمواطن ارتبطت حياته بحياة اليمن ارتباطاً عضوياً منذ بدايتى الى الآن ..

إن صورة اليمن التى ترسمها هذه الصفحات قد طواها التاريخ فى طياته منذ انطلاقات الشعب المتكرره والتى آخرها ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ حيث أشرقت شمس الأمل على اليمن ، يمضى فى طريقه واثق الخطوات نحو التقدم والرفعة ...

عبد الله قايد جزيلان

المقدمة

سأحاول فى هذا الكتاب أن اتذكر بعض ذكريات الطفولة ، بعض هذه الذكريات سمعتها من أمى رحمها الله وأخرى عشتها واذكرها جيداً . وليعذرنى القارىء الكريم . إذا لم اذكر التواريخ لكن الذى اهتم به هو بقاء تلك الذكريات فى ذاكرتى حتى اليوم ..

وقد رأيت من واجبى كمواطن .. أن أكتب هذه الذكريات ليعرف الجيل الجديد والأجيال القادمة صفحات من حياة شعبه فى فترة حكم الكهنوت الامامى. لقد كانت حياة غاية من القسوة قد لايصدقها البعض لشدة قسوتها وجبروت حكام تلك الفترة المظلمة ..

لكننى سأحاول قدر استطاعتى أن اكتب ماسجلته الذاكرة ...

وأننى لأرجو من الجيل الجديد أن يجد الوقت لقراءة هذه الذكريات ففيها الحقيقة المرة التى تجرعها شعبنا لفترة طويلة ..

وليعرف هذا الجيل الجديد أنه لم يصل الى ماوصل اليه اليوم .. إلا على سهر ، ودموع ، وعرق ، ودماء ، وسجون ، وتشريد ، من سبقوه من الأجيال فالجيل الذى مهد لنا الطريق وأوصلنا الى مشارف القرن العشرين علينا احترامه ،

وتخليد ذكراه وسوف نصل الى ماوصلت اليه الأمم المتحضرة إذا قدرنا واحترمنا أعمال وتضحيات من سبقونا ..

ولايزال بعض الاباء الذين مهدوا لنا طريق الأمل يعيشون معنا يلمسون بأنفسهم ثمرة اعمالهم وأعمال أبنائهم البررة ، وهم فى غاية السعاده لان رسالتهم قد تحققت ، وأن حاجز العزلة قد تحطم وأن ظلمات السجون وحملة السلاسل والقيود والدماء المسفوكة . وقسوه الغربة ، قد أثمرت وقد حقق الابناء اهداف الأباء .

اننى أرجو أن تكون هذه المقدمة المختصرة قد حققت ماأهدف إليه وهو الاعتراف بالجميل لمن سبقونا على درب الوطنية ، فلهم الاحترام ، والاجلال ..

الفصل الأول

من تعز إلى صنعاء

كان جدى النقيب ناجى بن حمود جزيلان رجلًا طويلًا ضخم الجسم ، وكان ماهراً فى ركوب الخيل . وقد ورث أبى حب الخيل عن جدى فاصبح ماهرا فى ركوب الخيل كآبيه وكانا يعملان مع الاتراك فى سلاح الفرسان (الخيالة) وقد تزوجا من عائلة غنيمه فى صنعاء . وكان لهما بيت فى حارة القليحى ، وبيت آخر فى منطقة الروضة ، وهى منطقة جميلة تشتهر بوفرة الفاكهة وخاصة العنب . ويفد اليها سراة أهل صنعاء فى شهور الصيف طلباً للراحة والاستجمام وأكل الفواكه والأعناب .

ولسبب مجهول ترك جدى وأبى صنعاء ، واقاما فى تعز فى بيت يتكون من طابقين بنى من الحجر العادى والطين ، سقفه من الخشب ، مثل كل بيوت اليمن يومئذ ، فالأسمنت والحديد وماتتطلبه البيوت الحديثة من مواد لم تكن لها وجود أو حتى السمع ..

ويقع هذا البيت بجوار بيت الشيخ على المقحفى أمام مسجد المظفر الشهير ، ويفصله عن مسجد المظفر سائله تعز القادمة من جبل صبر عبر باب

النصر وجبل السراجية . وخلف البيت يوجد ميدان تعز حيث كانت تقام حفلات الاعياد الدينية .. والوطنية .

وحملت بى أمى ، ومضت شهور الحمل بطيئة متثاقلة .
وعندما جاءها المخاض شعرت بآلام هائلة . ووجع شديد . وحار أبى كيف يتصرف فى هذا الموقف العصيب . فلم يكن فى اليمن أطباء أو طبيبات أو مستشفيات تقدم الرعاية الصحية لأبناء الشعب ، هرول أبى يستدعى قابلة (مولدة) لتساعد أمى فى تلك اللحظات الحرجة . ورفع أبى كفيه الى السماء يدعو الله القادر أن يشد من أزر أمى ويخفف عنها آلام الوضع .. وسمع صوت بكاء طفل .. كان صوت بكاء أخى منصور الذى جاء قبلى الى الدنيا بساعة من الزمن وقد ولدت ضعيفاً واهناً كالميت فوضعتنى القابلة على المهد . واتجهت الى العناية بأمى وأخى .

وفجأة سمعت أمى عطسة صدرت منى ، فسرت الفرحة فى كيانها .. فقد ولدت توأمين .

وفسرت القابلة ضعفى وهزالى بقولها :

ـــ أن الملائكة تأخرت فى وضع رائحة تراب الأرض التى سأموت فيها على أنفى .
وهى فكرة منتشرة ...

كان الناس عندما يعجزون عن تفسير ظاهرة مايعمدون الى الأساطير . والخرافات فيجدون الحل الذى يرضيهم بغض النظر عما إذا كان هذا التفسير حقيقة أو محض خيال .

وقد سمعت من أمى أيضاً أن ابى عمل مستشاراً للشيخ ناصر مبخوت شيخ منطقة ماويه فى عصر الاتراك وكان الشيخ مبخوت يحوز أسلحة مختلفة وفى

هذا الوقت لم يكن الأمام يحيى حميد الدين قد دخل صنعاء بعد وكان الاتراك يحكمون شمال وجنوب اليمن وقد كان والدى همزة الوصل بين الشيخ ناصر مبخوت والامام يحيى فى تسليم الاسلحة من مدافع وغيرها بعد رحيل الاتراك من اليمن وبعد رحيل الاتراك من اليمن اعتمد الامام فى تهامة على اسرة بيت الوزير وعلى رأس هذه الاسرة السيد عبد الله الوزير وأخيه السيد على الوزير وقد قام الأول بدور كبير من أجل بسط نفوذ الامام يحيى على منطقة تهامة كاملة ولواء البيضاء والجوف ومأرب ومناطق الشام مثل حجور وصعده وغيرها ...

وقام السيد على الوزير الذى كان أميراً لمنطقة تعز (محافظ) بنفس الدور الذى قام به السيد عبد الله الوزير واستطاع أمير منطقة تعز السيد على الوزير أن يكون جيشاً من محافظة تعز من جبل صبر ، ولواء الحجرية ، وجبل حبشى ، ومنطقة العدين ومنطقة شرعب ومنطقة بعدان ، وبعض القرى المجاورة لمدينة تعز وقد قام هذا الجيش بحفظ الأمن والسيطرة الكاملة على المنطقة كما أرسل الى منطقة الحرب فى تهامة بين اليمن وجارتها السعودية فى معركة ميدى المشهورة .

وقد توفى جدى رحمه الله ودفن فى مقبرة تعز المشهورة (بالأجينات)

تركنا « تعز » ورحلنا الى صنعاء بناء على تعليمات السلطات فى العاصمة صنعاء كما قالت لى أمى .

وفى صنعاء أقمنا فى حارة أسمها « غرفة القليس » وفى هذه المنطقة كانت الكنيسة التى شيدها القائد الحبشى أبرهة صاحب القصه المشهوره فى التاريخ أتخذ أبرهة من صنعاء عاصمة للمستعمرة الحبشية الجديدة فى بلاد اليمن . وبنى فيها واحدة من أعظم الكنائس فى العالم فخامة وروعة وهى التى يسميها كتاب العرب « القليس » وهى مشتقة من الكلمة اليونانية « أكاليزيا » ومعناها كنيسة

وقد أراد أبرهة أن يتخلص من الكعبة المشرفة ليجذب العرب الى كنيسته الجديدة بصنعاء .. ولكن الله جلت قدرته حمى بيته الحرام . وخلد القرآن المجيد

هذا الحدث التاريخى الكبير فى سورة الفيل :

« ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول »

صدق الله العظيم

وحينما فتح المسلمون صنعاء هدموا الكنيسة وقصر غمدان وغيره من القصور لأسباب معروفة ..

وفى غرفة القليس تفتحت عيناى على الحياة . وإن كنت لاأعرف كم عمرى ؟ فقد كانت التقاليد فى اليمن أن يدون تاريخ الميلاد فى أول صفحة من الختمة « القرآن الكريم » وتتضمن البيانات يوم الميلاد والسنة والشهر والساعة صباحاً أو مساءًا قبل آذان الظهر أو بعد آذان العصر قبل آذان الفجر أو بعده ، بعد آذان المغرب أو بعد آذان العشاء . وقد يحدد تاريخ الميلاد بالصلاه بدلا من الآذان .

والسبب فى ذلك أن الساعة كانت شيئاً شبه نادر ، لايمتلكها إلا القادر الغني أو لأن عامل الزمن لاقيمة له .. كما أن أوقات الأذان محددة بساعة المسجد أو السنيدار « قيم المسجد والمسئول عنه » .

بدأت وأخى منصور نلعب أمام المنزل مع أبناء الجيران ، وكانت لهجتى « التعزية » تقربنى من الصغار والكبار لغرابتها بالنسبة لأهل صنعاء ، وكنت أشعر بالضيق فى بعض الاحيان إذا حاول أحد أن يقلد لهجتى التعزية .

وأذكر أن أبى صحبنى وأخى منصور الى سوق الملح لشراء بعض المشتروات ، وكنا فى شهر رمضان المبارك ، كنت أشعر بسعادة غامرة ، وابى ممسك بيدى وأنا أدق الأرض بقدمى الصغيرة ، وأتطلع إلى السماء الصافية ، وقد نثرت النجوم على صفحتها كأنها لؤلؤ منثور .

كان منظراً رائعاً خلاباً يدل على قدرة الخالق جل شأنه وبديع صنعه ..

وفى سوق الملح جلسنا على مقهى ، وطلب لنا أبى ثلاثة أكواب من الشاى . ومددت يدى إلى الكوب الزجاجى الصغير الذى حلى بخيوط ذهبية ، ورحت أرشف الشاى بلذة غريبة . كانت هذه هى المرة الأولى فى حياتى أتذوق فيها الشاى .

عاد أبى إلى تعز ، وتركنا أنا وأمى وأخى منصور وأخى من أمى ابن القاضى على وحيش إمام وخطيب المسجد الكبير فى صنعاء آثناء حكم الأتراك .

ثم سافر إلى منطقة تهامة على السهل الساحلى على شاطىء البحر الأحمر .

وكانت الحرب قد دارت رحاها بين الامام يحى حميد الدين وبين الملك عبد العزيز آل سعود . وسمعت أن والدى يحارب فى منطقه ميدى ، وحرض ولم أكن ادرك فى مرحلة طفولتى الباكرة معنى الحرب .

فكنت أسأل أمى : ماهى الحرب ؟ هل هى لعبة ؟ هل هى بيت كبير ؟ هل هى شارع ؟ فتبعد أمى وجهها عنى وتنخرط فى بكاء مر وأعود أسألها وألح فى سؤالى عليها : ماذا تعنى الحرب ياأمى ؟

فتجيب فى صوت تخنقه العبرات : أن الناس يقتلون بعضهم بعضا .

وفى براءة الطفولة أسأل : ولماذا يقتل الناس بعضهم بعضا ؟ وما هو القتل ؟

تصمت أمى وتبكى فأشاركها وأخى منصور البكاء . ولانعرف لماذا هذا البكاء ؟

كانت أمي تنتظر على أحر من الجمر زيارة أخي عبد الكريم وحيش رحمه الله ، الطالب فى المدرسة الحربية بمنطقة « البكيليه » ليذهب الى إمارة الجيش (العرضى) ليعرف أخبار هذه الحرب اللعينة التى تدور بين الاشقاء .

لقد عشت مع أخي منصور مأساة الحرب ، هذه الدراما الانسانية العنيفة .

كانت أمي دائمة البكاء والعويل وتدعو الله تعالى أن يسود السلام ، ليعود اليها زوجها من أجل أطفالها الصغار .

لقد كنت وأخي منصور نفرح عندما تنتهى أمي من البكاء وتحاول أن تخفى أحزانها وآلامها عنا . وتسمح لنا بالنزول إلى الشارع لنلعب مع الاطفال ..

لقد أحسست بعمق احزان الطفل عندما يشاهد أمه تحزن وتبكى وتغمرنى السعادة كلما شاهدت وجهها يبتسم وكلما شاهد الطفل سعادة أسرته عاش كل حياته سعيدا وعاش المجتمع سعيدا فالاسرة هى المجتمع الصغير ..

لقد تركت هذه التجربة أثراً عميقاً فى نفسى ، فقد أصبحت واحداً من الذين يؤمنون بالسلام ويدعون له ويبشرون به ، من أجل تقدم ورقى الانسان . ويجب توجيه المبالغ الطائلة التى تنفق على السلاح لخدمة الحياة بدلًا من أن تترصد لها وتتربص بها ...

وفى ذات يوم .. وكان قرص الشمس ينحدر نحو المغيب ، لمحت على البعد بغلة بيضاء تسير فى ضعف ومن حولها جنديان ، وبعدهما كان أبى يسير وهو ينتزع قدميه من الارض انتزاعاً ، وصرخت بأعلى صوتى أدعو أمي وأخي منصور .

أبى جاء .. أبى جاء ..

اندفعت كالصاروخ إلى البيت ، ورحت أصعد الدرج وانا أردد فى بهجة وسرور أبى جاء .. أبى جاء .. دخل أبى البيت وتولى الجنديان العناية بالبغلة فأدخلاها الحر « الأسطبل » وجلسا فى الدهليز ليستريحا من وعثاء السفر .

وما كاد نظر أمى يقع على أبى حتى أنخرطت فى البكاء ، ولكنه بكاء الفرح .. فقد عاد اليها زوجها سالماً ..

وبدأ أبى يخلع ثيابه الممزقة ، ويفك قطعة القماش التى كان يلف بها قدميه بدلًا من الحذاء ؟ !

سألت أمى : وأين الحذاء ؟ !

أجاب أبى : أن جو تهامة شديد الحرارة .. ونتيجة لارتداء الحذاء ، يبدأ الجلد فى الالتهاب وتظهر « الفقاعات » على القدم ، لذلك اضطررت إلى لف رجلى بقطعة من المقطب (قطعة من القماش الأبيض تلف حول الجسم) وكذلك فعل باقى الضباط والجنود من أجل حماية أقدامهم من الحر الشديد ولدغ الحشرات .

واستطرد أبى يقول :

ــ لقد أرسلنا إلى الامام يحيى سلك (برقية) نطلب منه فيها أن يبعث الينا بأحذية « شباشب » وذخيرة وتموين وصمت أبى قليلا ، ثم قال لأمى .

ــ هل تعرفين ماذا كان رد الامام علينا ؟ !

ومضى أبى يقول دون انتظار رد امى :

رد علينا الأمام بقوله : تسلحوا من عدوكم ياحمران العيون (أى أيها الرجال الشجعان)

وبعد أن استراح أبى من عناء السفر راح يقص على أمى أنباء المعارك وأنا أصغى باهتمام شديد الى مايقول .

كان الجيش اليمنى يتألف من قوات ، من لواء تعز ولواء آب وكان معظم الجنود من منطقة العدين ، ومنطقة شرعب ، وجبل حيشى ، وجبل صبر ومنطقة الحجرية ، ومنطقة بعدان والفراء المجاورة لمدينة تعز ..

وكان كل قادة هذا الجيش من نفس هذه المناطق وشكل الجيش السيد على الوزير كما سمعت من والدى وقد سمى كل تشكيل باسم بلك وكل بلك بأسم قائده فبلك الضابط مسلم من منطقه شرعب وبلك الضابط جراح وبلك الضابط محمد الهندى وبلك الضابط محمد وابل وبلك الضابط محمد سرى شائع لواء اب وبلك الشيخ صادق من العدين وبلك جزيلان من شرعب وجبل صبر والعدين ويصل عدد البلك الى أكثر من خمسين جنديا حسب رغبة الجندى وحبه للضابط الذى يرغب فى الخدمه معه ، وللجندى مطلق الحرية فى أن ينتقل من بلك إلى آخر .

لقد كانت روحنا المعنوية مرتفعة فى البداية وكان معنا مدفع ميدان واحد من مخلفات الحكم العثمانى . وحينما اقتربت القوات السعودية .. حركنا المدفع اليتيم .. واطلق قذيفة واحدة .. ثم سكن سكون الموتى ! !

وكان جنودنا يحملون بنادق تركية قديمة تسمى موزر ومع كل جندى خمسين قذيفة (طلقة) بعضها تالف . وكنا جميعاً ضباطاً وجنوداً مسئولين عن المعابر الفارغة (الخراطيش) لتسليمها الى السلطات بعد انتهاء المعارك ! !

لم يكن لدى قواتنا تموين من طعام أو ماء .. كنا نقاتل فى ظروف بالغة الصعوبة . فى حين كانت القوات السعودية تحارب وكل جندى يمتطى ظهر الهجين (الجمال السريعة) أو بعض السيارات ويحمل بندقية انجليزية ٣٠٣) جديدة ومعه كمية كبيرة من الذخيرة وزمزمية ماء .

صدرت الأوامر للقوات اليمنية بأن تنسحب من حرض وميدى وفى أثناء الأنسحاب حدثت مفاجأة كبرى .. لقد لقيت قواتنا روحاً عدائية من سكان

تهامة .. فعندما كان الجنود يقتربون من القرى التى كانت بيوتها مبنية بالقش والخشب ، بحثاً عن الماء ليرووا ظمأهم .. كان الأهالى يحاولون قتلهم بالعطيفى (الفأس الطويل) ولما شعر الجنود بهذه الروح .. غيروا طريقهم .. وساروا بحذاء الشاطىء وتحت جنح الظلام .. أو إحراق قرية ليلتفت اهلها لاطفاء النار حتى نتسلل وننجوا بأنفسنا من المتاعب الجديدة ..

وقد حاولت أن أجد تفسيراً للروح العدائية التى قابلنا بها سكان تهامة . وبعد امعان الفكر عرفت أنهم يحقدون على الجبالية (اى سكان الجبال) . وكان كل الجيش وقادته من اليمن الأسفل كما كانوا يسمونه . ويبدو أن الادارسة الذين كانوا يحكمون منطقة الشواطىء من منطقة صبيه حتى مدينه باجل قد غرسوا فى قلوب سكان تهامة هذه الروح العدائية . وكان بين الادارسة والسعودية معاهدة تعلون .. (قبل الاختلاف)

ومن هنا نستطيع أن نقول إن هزيمة الجيش اليمنى فى حرض وميدى (تهامة) ترجع لعدة أسباب منها :

عدم ارسال الامام يحيى بتحريض من مستشاريه الفقهاء أسلحه ومؤن للقوات اليمنية المتواجدة فى تهامة .

موافقة الامام يحيى على طلب ابنه عبد الله قائد الجيش فى تهامة على الانسحاب بحجة الخوف من وقوع ابن الامام فى الأسر الأمر الذى يسقط هيبة الأمام يحيى وبفقده شعبيته ... بينما قائد الجيش فى منطقه نجران سيف الاسلام أحمد يحقق انتصارات ..

واعتقد أن الباحث فى هذه الوقائع التاريخية يستطيع أن يحلل هذه الأحداث ويستنطق الوثائق ويتأكد أن هزيمة الجيش اليمنى فى تهامة كانت من داخل اليمن نفسه .

حينما وصل أبى ورفاقه الضباط إلى صنعاء . أمر الامام يحيى بايداعهم السجن « حوش دهان » بثكنات الجيش (العرضى) . وكانت العادة أن يجرد الضباط من كل سلاح يحمله حتى الجثينه (الخنجر) ولكن ابى ومن معه رفضوا تسليم خناجرهم (الخبالى) .

كان أخى عبد الكريم وحيش يصحبنى وأخى منصور كل أسبوع لزيارة أبى وصحبه فى السجن .

وقد اختلفت الأقوال عن سبب ايداعهم السجن ..
فمن قائل أن السبب هو أنهم لم يسلموا المعاير « الخراطيش » الفارغة .

ورأى آخر يقول : أن السبب هو استيلاؤهم على أسلحة كثيرة من السعوديين اثناء القتال ..

ورأى ثالث يقول : أن الفقهاء المحيطين بالأمام يحيى هم الذين أشاروا عليه بسجن الضباط حتى لايطالبون بترقيات .

ومهما يكن السبب فى ايداعهم السجن فقد أفرج عنهم بعد أيام معدودات .

* * * * *

أراد أبى أن يغير البغلة ، ببغلة أخرى من بيت المال – كما يقولون – وكان لكل بغله نمرة فى رقبتها أو فى عجزها . وهذه النمر تطبع على جسم البغلة عن طريق الكى . وقد فوجىء أبى باستقطاع جزء من مرتبه بسبب ضعف البغلة والجراح التى أصابتها أثناء المعارك والسفر الطويل ! !

وعندما ذهب أبى للاحتجاج على هذا التصرف الغريب .. قابله القاضى

مطهر أحد مستشارى الأمام يحيى وقال له : لقد كان هناك قرار معد لترقيتك الى رتبة كبيرة ولكن رئيس الوزراء القاضى العمرى عارض هذا القرار وقال للأمام لو رقى جزيلان وهو من القبائل « عيزيد التخبط » يقصد أنه سيتكبر وتتكبر القبائل ؟ !

غضب أبى عندما سمع هذا النبأ وأمر الجندى باعداد البغلة للسفر ، وامتطى أبى ظهرها ومضى مسرعاً الى حمام سوق البقر ، حيث تعود رئيس الوزراء القاضى العمرى أن يستحم هناك كل أسبوع ، وعند باب الحمام حدثت مشادة كلامية حادة بين أبى والقاضى العمرى الذى اعتذر عما قيل وقال لابى انى على استعداد لتصحيح هذا الخطأ اذا صح منى هذا . ولكن أبى غادر صنعاء فى نفس اللحظة إلى تعز ، وأقسم ألا يعود الى صنعاء مهما كانت الظروف

وبعد رحيل أبى ، طلبت أمى من أخى عبد الكريم وحيش أن يستأجر لنا بيتاً آخر ، فاستأجر بيتاً فى حارة عقيل . وكان هذا البيت أفضل بكثير من البيت الذى كنا نقيم فيه فى غرفة القليس ، فهذا البيت الجديد له حوى (فناء) أستطيع أن ألعب فيه مع أخى منصور تحت إشراف أمى ، بعيداً عن متاعب الأطفال الذين لايفهمون لهجتنا التعزية ولانفهم نحن لهجتهم الصنعانية إلا بصعوبة بالغة .

كانت أمى تعتمد على للذهاب الى السوق لشراء مستلزمات البيت من الخضر والفاكهة كالعنب والليمون والحلو والنرنج « نوع من الحمضيات » . وكان محل الجزارة يقع فى سوق عقيل . وهو دكان صغير له ثلاث حوائط فقط ومسقوف بالخشب وبدون باب حتى يستطيع الجزار أن يتحرك داخله بسهولة ويسر وكان المشترون عندما يرونى أحاول أن أشد قامتى حتى يرانى الجزار يتطوع بعضهم للقيام بشراء اللحم بعد أن أحدد له الكمية التى أريد . فأهل صنعاء يتمتعون بصفات حميدة من الشهامة والنجدة . والكرم . كما أنهم يعطفون على الغريب ، والغريب فى نظرهم هو القادم من مناطق تعز أو أب أو الحديدة أو غيرها . واذا حدث خلاف بين شخص من أهل صنعاء وآخر غريب فان أهل

صنعاء ينصرون الغريب ويقولون هذا غريب الديار ولايجوز الاعتداء عليه . كانت أمى تعرفنى بالنقود المتداولة فتقول : أن الريال أربعون بقشة ، ونصفه عشرون بقشة .. وهكذا .. وكان يستهوينى الربع بقشة لصغر حجمها وجمالها ودقتها والسحتيته وهى عملة صغيرة ببيضاء اللون ملساء وأعتقد أن الكثير من أهل صنعاء لايعرفونها لندرة تداولها فى هذه الأيام . بدأت أجوب الاسواق ، يدفعنى حب الاستطلاع لاكتشاف سر هذه العوالم الغريبة ..

..فهناك سوق المبساطه « الخاص بالملابس القديمة وغيرها » وسوق العطارين وسوق البقر وسوق العرج نسبة للحيوانات العرجاء أو الطاعنة فى السن ..

وسوق السلب « حيث تجدل الحبال » وسوق الحدادين وسوق النجارين ..

وأهل صنعاء تحركهم الرحمة والشفقة اذا رأوا شخصاً يضرب حيواناً يصرخون فى وجهه ويقولون له : حرام عليك فارشة عجماء لايجوز ضربها .

وذات يوم . ذهبت الى مجزرة عقيل لشراء كمية من اللحم ، وعندما وصلت كانت اللحم قد نفدت . فقد كان من عادة أهل صنعاء أن يذهبوا إلى المسجد لتأدية صلاة الفجر وبعد الصلاة يجوبون الأسواق لشراء حاجياتهم ، ثم يتجهون إلى أعمالهم .

وقفت أمام محل الجزارة حائراً ، وفجأة .. أجهشت بالبكاء ..وتقدم منى رجل وقور وسألنى : لماذا تبكى يابنى ؟

أجبت : لقد جئت لشراء لحم فلم اجد .
قال الرجل : جفف دموعك يابنى ، وتعال معى .

وأمسك بيدى . وسرنا معاً الى خارج باب اليمن ، وهناك رأيت عدداً من محلات الجزارة .. ووقفنا أمام احد المحلات وقال مخطباً الجزار : زلج هذا الجاهل « أى اسرع بالبيع للطفل » وحملت اللحم بيدى . « فى زنبيل صغير » وأخذت أتلفت ذات اليمين وذات الشمال ..

قال الرجل : هل تعرف الطريق الى بيتك ؟
أومأت برأسى : نعم .

وسرت على غير هدى ، فقد ضاع من قدمى الطريق .. بكيت .. ورحت أصرخ وتجمع بعض المارة من حولى ، وسألونى : لماذا تبكى ؟ قلت : لقد ضللت الطريق إلى بيتى قال أحدهم : ابن من انت ؟ فلما أخبرتهم وعرفوا أن لهجتى ليست صنعانية وأننى غريب فتطوع أحدهم لإرشادى إلى حارة عقيل حيث أقطن . وعندما دخلت البيت احتضنتنى أمى وهى تبكى فقد ساورتها الظنون لغيابى فلما رأتنى هطلت دموعها . وبكيت أنا أيضاً معها ..

★ ★ ★ ★ ★

كان أخى منصور جميل الصورة حلو التقاطيع ، وكان يترك شعر رأسه يتدلى على كتفيه ، وكان هادىء الطباع ، عزوفا عن اللعب ، وكانت ثيابه دائماً نظيفة .

أما أنا فقد كنت أحب اللعب ، سريع الحركة ، دائب النشاط ، فكانت أمى تقارن بينى وبين أخى منصور وتقول :

شوف أخوك هادئ وثيابه نظيفه ...
كانت هذه المقارنة تحز فى نفسى ، حتى ظننت أنها تؤثره بالحب . أن هذا الأسلوب فى المعاملة يجانبه الصواب لأنه يورث الحقد والغيرة فى نفوس الأبناء .

ولذلك حرص الاسلام على المطالبة بالعدل بين الأبناء فى المعاملة من أجل تكوين أسرة متماسكة قوية .

* * * * *

كان والدى قد ترك لنا معاش يسمى «السباريسى» وكان أخى عبد الكريم وحيش يذهب الى العرضى «ثكنات وادارة الجيش» لاستلام المعاش السباريشى» . ولكنه كان يتأخر احياناً عن زيارتنا لأسباب خاصة به ، فقد يكون ممنوعا من الخروج من المدرسة الحربية التى كان يدرس فيها ، أو غير ذلك من الاسباب وكان رحمه الله طائعاً لأمه محباً لها يلبى جميع طلباتها . وكان يقبل يديها وركبتيها حسب العادة اليمنية كدليل على الطاعة ، والاحترام . وقد طلبت أمى منه أن يكتب رسالة لأبى كى يرسل لنا المعاش مع مسافر أو عن طريق حوالة على تجار صنعاء الذين كان بعضهم يقوم بهذا العمل لقاء أجر معين (كالبنك) وكانت الرسائل تتأخر أحياناً خاصة اذا أمطرت السماء إذ يصبح من العسير السير على الطرق . وكان هذا الأمر يسبب لأمى إزعاجاً شديدا لأنها فى حاجة إلى النقود لمواجهة أعباء الحياة ، ولاتعرف أحداً تقترض منه ...

* * * * *

وذات يوم اتفقت مع أخى منصور على أن نمثل دور الجيوش المتحاربة ، كما سمعنها من أبى بعد عودته من حرب ميدى . وبدأنا ننفذ لعبة الحرب ، وذهبنا الى المطبخ وأمسكت بمقص «صناعة محلية» وأمسك أخى بسكين «صناعة محلية» وأغلقنا على أنفسنا باب الغرفة . وبدأنا لعبة الحرب بصراخ عال سمعتنا أمنا وجاءت بسرعة ففتحت أمى الباب . وتسمرت فى مكانها من هول المنظر ثم أجهشت بالبكاء . وقالت :

ــ ماذا تفعلان ؟ ألا يكفيكما ماأنا فيه ؟ ! ماذا أفعل لو قتل واحد منكما .. وأنا هنا غريبة وحيدة ؟

قلت لها : كنا نلعب ياأمي

قالت : العبا كما تريدان إلا الحرب .. فالحرب مدمرة .. تقتل الرجال ، ترمل الزوجات .. تيتم الاطفال .. تخرب البيوت ..

نقشت هذه الكلمات الصادقة المنبعثة من قلب أمي فى ذاكرتى . ومازلت أذكرها كأنها قيلت بالأمس القريب .. — إن السلام ضرورى للانسان أرقى ماخلقه الله ...الانسان الذى خلقه الله كما يقول غاندى — لكى يعبد الله ، ويبنى الحياة بالمحبة ، والحق ، والعدل .

* * * * *

دق باب البيت .. وفتحت الباب ، فاذا بالطارق الحجة البحرية وقد وصلت من تعز حاملة رسالة من أبى . ابتسمت أمى ، وتناولت الرسالة بشغف وألقت عليها نظرة سريعة ، ولكنها لم تستطع أن تفك رموزها . فلم تكن أمى — كأغلب نساء اليمن فى ذلك الوقت — تعرف القراءة والكتابة . وكانت تنتظر مجيء أخى عبد الكريم وحيش ليقرأ لها الرسالة .

كانت الحجة البحرية امرأة تاجرة ، تحمل بضاعتها من الزبيب ، والجوز واللوز ، والعنب ، وبعض المنتجات الصنعانية المشهورة مثل الأحزمة المطرزة ... والخناجر .. والأكلمة (الفريد) على الجمال ، وتركب هى حمارها ، وتحمل سلاحها على كتفها ، وتضع على رأسها الصماطه « قطعة من القماش يلف بها الرجل رأسه » وتعرض بضاعتها فى سوق تعز .. وقد ظلت هذه المرآة طيب الله ثراها . هى الوسيلة الوحيدة لتوصيل النقود التى يبعث بها أبى الينا وكانت الحجة البحرية تسافر كل خمسة عشر يوما الى تعز وتعود الى صنعاء كل خمسة عشر يوما كانت تقطع المسافة بين صنعاء وتعز فى سبعة أيام مرافقة قافلة الجمال المحملة بالتجارة وكانت أمى تعد تلك الأيام وتنتظر وصول الحجة البحرية بفارغ الصبر .. لقد كنا فى صنعاء تحت رحمة القدر وكان وجه أمى دائماً فى قلق حتى تأتى الينا الحجة البحرية حاملة الرسالة والمال .. وكانت أمى تدعو لها بالصحة والعافية ...

اما أنا وأخى منصور فلم نكن قد عرفنا بعد متاعب الحياة فالطفولة عالم خال من المشاكل وكأن الحياة مشاعة بين الجميع الكل يعطف على الآخر ويقدم له مايرغب فيه ولا نعرف قيمة المال إلا عندما يدق الباب وتاتى الحجة البحرية ومعها الرسالة . والمال وهنا نتطلع إلى وجه أمنا وقد سرت وفرحت فنفرح لفرحها ونسر لسرورها .

كان الناس يقولون إن وجه أمير المؤمنين الأمام يحيى يشع بالنور المبين عند خروجه من المسجد الكبير عقب تأدية صلاة الجمعة . وأن أى شخص يقع بصره عليه تحل عليه البركة . وتغمره السعادة ، ويرفل فى الصحة .

وتاقت نفسى لرؤية الإمام النورانى الوجه ، وبدأنا أنا وأخى منصور نلح على أمى لكى تتيح لنا فرصة رؤية الإمام .

واستجابت أمى للرجاء فطلبت من أخى عبد الكريم وحيش أن يصحبنا يوم الجمعة لنشاهد الإمام عقب خروجه من المسجد . ووقفنا مع الناس أمام الباب الخاص لخروجه فى انتظار خروج الإمام والناس محتشدة الكل يطلب البركة . والخير ... وطال الانتظار حتى انتابنى القلق .. وفجأة .. ارتفعت أصوات الرجال والنساء تدعو للإمام بطول العمر والنصر على الاعداء وحملنى أخى عبد الكريم بيديه لأرى الإمام يحيى .. وفعل ذلك مع أخى منصور .. كان وجهه يميل إلى السواد ، ولم يكن ضخم الجثة ولابائن الطول . فقد كانت الحجة البحرية .. أضخم وأطول منه — فى نظرى — وكان يرتدى ملابس جديدة . ويضع على رأسه عمامة كبيرة تتدلى منهما عذبتان (فرنشة) احداهما قصيرة فى المقدمة والثانية طويلة فى المؤخرة كذيل الحصان .

وفى براءة الطفولة صحت .. أين الإمام ؟

قال أخى عبد الكريم : هو هذا الذى يرتدى القميص المطرز ويضع على رأسه العمامة اللامعة ...

قلت : هذا الأسود .

وبسرعة البرق وضعني أخي عبد الكريم علي الأرض ، وقال بغضب شديد : هيا بنا وسرنا نقطع الطريق بخطوات واسعة ، وأنا ألح فى السؤال :

ـــ لماذا الإمام يحيى أسود الوجه ؟ واين النور الذى يشع من وجهه ؟ نهرنى أخى عبد الكريم وقال : كفى .. إسكت
لم أكن أدرى لماذا هو خائف ، ويحثنا على السير بسرعه فى اتجاه البيت ، وماكادت أمى تفتح الباب حتى تنفس أخى عبد الكريم الصعداء وقال :

ـــ ابنك هذا كاد يوقعنا فى خطر
تسألت أمى فى دهشة : ماذا عمل ؟

أجاب : مأأن وقع بصره على الإمام حتى قال بأعلى صوته لماذا هو أسود الوجه وآين النور الذى قلتم لنا عنه ؟

نظرت إلى أمى بعتاب وأمسكت بأذنى وعصرتها بقوة ، فصرخت من الألم .

وقالت : حذار أن يسمعك أحد تقول هذا الكلام مرة أخرى .

كان الخوف من طغيان وبطش الإمام يعشش فى قنوب الشعب .

* * * * *

ذهبت وأخى منصور إلى المعلامة « كتاب القرية » بجوار منزلنا وفى مدخل مسجد عقيل وهى غرفة صغيرة لتحفيظ القرآن ... ومفروشة بالحصير . وجلست مع أخى منصور القرفصاء على الأرض مع الأطفال . وكان المعلم ـــ سيدنا محمد ـــ أعرج ذو ذقن كثة بيضاء يجلس على دكة من الطين .. ولما بدأ يشرح الدرس ويناقش الأطفال ، لم يفهم منا شيئاً للهجتنا التعزية ولم نفهم نحن

أيضاً لخوفنا منه فقد كان يمسك بيده عصا رفيعة . وبجانبه عصا طويلة معكوفة يجذب بها الطفل من رقبته لينهال عليه ضرباً ..

أمرنا سيدنا أن نأخذ لوحين من الخشب من أحد أركان الغرفة ونغسلهما ونطليهما بمادة جيرية تسمى « القطاط » ونتركهما يجفان تحت أشعة الشمس .

وتناول سيدنا محمد قلما من اليرع « البوص » وكتب على اللوح الحروف أ . ب . ت وطلب منا أن نردد الحروف المكتوبة ورددنا كالببغاوات . وسألنا : هل فهمتم ؟

قلت وأخى منصور فى صوت واحد : نعم

كانت رسوم الدراسة بقشتين تدفع كل يوم خميس لسيدنا محمد .

وذات يوم أجرى لنا سيدنا أمتحاناً ، طلب منى أن أقرأ ماأعرف من حروف الهجاء . وأشار بأصبعه على حرف منها . فنظرت إلى الحرف بدهشة ، وأمعنت فيه النظر كأنما أراه لأول مرة فى حياتى ، وقال سيدنا محمد فى غضب : أقرأ — ولكنى لم أستطع أن افتح فمى من الخوف . ودارت بى الغوفة . وأسودت الدنيا فى عينى :

ووقفت صامتاً لاأنبس ببنت شفه .
طلب سيدنا محمد من أحد الاطفال احضار (الفلكة) وأمر أخى منصور وطفل أخر معه أن يدخلا رجلى فى الفلكة وأن يرفعا قدمى إلى أعلى ، وانهال على قدمى يضرب بالعصا بقوة وعنف وانا أصرخ وأبكى من شدة الألم . لم يحتمل أخى منصور رؤية هذا المنظر الأليم فترك قدمى وفر هارباً من المعلمة . فكرت بسرعة فى الأنتقام من سيدنا محمد ... لكن كيف ؟

كانت رأس سيدنا محمد صلعاء . وليس عليها غطاء ، وبسرعة خاطفة ، وبدون

تفكير فى العاقبة رفعت بيدى لوح الخشب ورحت أضرب بكل قوتى سيدنا على أم رأسه .

واندفعت أجرى مسرعاً نحو البيت ، وانا أرتعد خوفاً من ملاحقة الاطفال لى ...

وعندما دلفت من باب البيت تنفست الصعداء ورويت لأمى ماحدث فأقسمت أن ألاأذهب إلى هذه المعلمة من جديد .

أتم أخى عبد الكريم وحيش دراسته فى المدرسة الحربية وعين مدرساً للرماية بها . وجاء للإقامة الدائمة معنا فى البيت ، وكانت أمى سعيدة بقدومه ... ومضت الأيام على وتيرة واحدة ..

ورأى أخى عبد الكريم أن نلتحق أنا وأخى منصور بمكتب كبير معروف يسمى مكتب القليحى .

وأكد لأمى أنه سيصحبنا إلى المكتب فى الذهاب والعودة .. وخضعت أمى لرغبة أخى عبد الكريم ..

ذهبنا الى مكتب القليحى ، وكان المدرسون يجلسون فى غرفة واسعة على هيئة حلقات وأمام كل مدرس يجلس عدد من التلاميذ على الحصير . وكان المدرس يتربع على قردة (شلته) والفلكة معلقة فوق رأسه ، والعصا بيده ، انثالت على ذهنى الاحداث التى جرت لى فى معلمة عقيل على يد سيدنا محمد ، فشعرت بالخوف يسرى فى كيانى . ورحت أردد مع التلاميذ مايقوله لنا المدرس بلا وعى فقد كانت عيونى مشدودة إلى الفلكة المعلقة فوق رأس المدرس ..

وانقضت عدة شهور ونحن نتلقى درسا وحيداً ... هو حروف الهجاء .

وفى يوم جمعة .. وقفت أمام البيت . ومعى قطعة من الخبز وشريحة من

اللحم وعلى مقربة منى كان يربض كلب أسود مقطوع الأذنين ، والسبب فى ذلك أنه إذا أهتم شخص مابكلب وهو صغير فانه يقطع أذنيه ليصبح اكثر شراسة . وفى صنعاء تنتشر الكلاب فى الشوارع والميادين الصغيرة (الصرحه) ويتولى سكان الحارة العناية بالكلاب ويقدمون لها الطعام والشراب .

اقتربت من الكلب « وأسمه مرزاح » كما يسميه سكان حارة عقيل ، ورميت له بقطعة الخبز واللحم فاندفع الكلب لأكلها وفى هذه اللحظة حضرت لى فكرة الركوب على ظهر الكلب كأنه حمار ، وبينما أنا أهم بركوب الكلب د حوى وفى غضب عضنى فى فخذى ... ثم عاد فى هدوء يأكل طعامى كأن شيئاً لم يحدث . وأنا اصرخ من الألم ، أسرع أحد الجيران لنجدتى وقد شاهد ماحدث .. نزع الحذاء من قدمه وراح يضرب مكان عضة الكلب
وهو يقول : لايعالج النجس إلا بالنجس .

لم يكن يعرف سر العمل الذى يقوم به فهو يجمع كرات الدم البيضاء لتهاجم ميكروب الكلب قبل أن يسرى ببطء فى الجسد .

أنها خبرة الدنيا لتستمر الحياة .

* * *

التحقت أنا وأخى منصور بمدرسة الزمر ، وهى مدرسة جديدة تتكون من عدة حجرات « فصول » وللحجرات نوافذ زجاجية .. تطل على مقشامة « حديقة » الزمر الواسعة . وقد كتب على باب كل حجرة بيانات توضح أنها فصل كذا السنة كذا . وبها مقاعد خشبية لجلوس التلاميذ (وأدراج) وكراسى صنع محلى للمدرسين وسبورة ..

كانت هذه أول مدرسة بالمعنى الحقيقى لكلمة مدرسة التحق بها . ويقال أن أحد الأمراء . سافر إلى الخارج وتأثر بما شاهد هناك من روعة وفخامة دور

العلم فأمر ببناء هذه المدرسة الجديدة على الطراز العربى الجميل .

بدأت وأخى الدراسة فى هذه المدرسة الجديدة فى كل شيء كنا نتعلم ولكن بدون الواح الخشب فقد كانت السبورة تقوم مقام الألواح الخشبية ولم تكن هناك فلكة معلقة على الحائط تخيف التلاميذ وترهبهم ، وان كان فى المدرسة مدرس مشهور بعدم الرحمة فهو يضرب الطالب بقسوة أسمه كما أذكر « سيدنا أحمد تقى » ويشتهر الأستاذ لابعلمه ولكن بقسوته على التلاميذ والفلكة موجودة ايضاً ولكنها فى حجرة خاصة إنها موجودة فى كل مدرسة ومعلمة فهى أداة من أدوات التعذيب والأرهاب ...

بدأت اتقدم فى الدراسة ، فعرفت حروف الهجاء .

وسر أخى عبد الكريم بما أحرزته من تفوق . وصحبنى معه إلى المدرسة الحربية حيث يدرس فيها الرماية مكافأة لى ، وعلى دائر سور صنعاء « بجوار مسجد البكيليه » رأيت البندقية لأول مرة فى حياتى . وقد حاول أخى أن يعلمنى كيف تستخدم البندقية ولكن صغر سنى حال دون تحقيق مايريد وأريد . لم تدم إقامة أخى عبد الكريم وحيش معنا طويلاً ، فقد ألقى القبض عليه وسجن فى سجن القلعة المشهور لأنه طعن بخنجره ضبطاً يسمى ابن الجراح . وكانت الطعنة خطيرة نقل على أثرها الضابط المصاب إلى المستشفى الوحيد فى صنعاء ... وهو الموجود بها حتى اليوم قبل توسيعه ...

وقد ألقى هذا الحادث ظلالا كئيبة على البيت . فأمى حزينة دائماً ، تسهر الليل تبكى كثيراً على ولدها السجين . وقد تحملت عبئاً كبيراً ، فكان على أن أذهب إلى السوق لشراء مستلزمات البيت ، وأحمل الطعام الى أخى فى سجنه بقصر السلاح والمسماة بالقلعة

وكان شقيق أخى عبد الكريم وحيش محمد على وحيش يقوم بمساعدتنا كثيراً ويذهب إلى سجن القلعه لزيارة شقيقه السجين ويحمل له الطعام والشراب وان كانت حالته متعبة فقد قام بواجبه نحو أخيه من أبيه على أحسن وجه .

وكانت أمي قد علمت أن أخي عبد الكريم مريض وقد حملوه الى المستشفى فى حالة خطيرة . وكادت أمي أن تجن على ابنها .. وصحبتنا أنا وأخي منصور إلى المستشفى للسؤال عن الضابط المصاب والاطمئنان عليه وعلى ابنها المريض والسجين وكانت رحمها الله تفزع اذا مر الضابط المجروح بأزمة صحية وتضرع الى الله أن يمن عليه بالشفاء ..

وفى ذات يوم سمع أخي عبد الكريم اشاعة تتردد فى المستشفى عن موت ابن الجراح وأن أهله يطالبون بالقصاص أو الدية (التعويض) فاصيب بانهيار عصبى وهو طريح الفراش ومكبل بالحديد (القيود) .

وبدأت رحلة عذاب جديدة .. ليس بمفردى هذه المرة بل شاركنى فيها أخي منصور وأمي . كنا نذهب عدة مرات فى الأسبوع إلى المستشفى للاطمئنان على أخي . لم نكن نراه ، فقد كانت زيارته ممنوعة . فكانت أمي تسأل المتطوعين وتمنحهم بعض المال « بقش » لقاء سماعها كلمة عن ولدها المريض والضابط الجريح ..

ومضت الأيام بطيئة متثاقلة ... أمي حزينة على ولدها ، قلقة على صحة ابن الجراح المطعون ..

وهى تدعو فى كل صلاة أن يتم الله عليه نعمة الشفاء . وأستجابت السماء لدعوات أمي الحارة . وشفى ابن الجراح وغادر المستشفى ..

وتمت محاكمة أخي عبد الكريم وحيش . وقضى بالزامه بدفع مبلغ كبير من المال كتعويض للضابط ابن الجراح ، واعتبرت المدة التى قضاها فى السجن كافية كعقوبة . وعاد أخي عبد الكريم ليعيش معنا فى البيت من جديد ..

وأشرقت الحياة وعادت إلى أمي البسمة الحلوة التى كانت قد فقدتها منذ وقع ذلك الحادث المشئوم ..

كانت أمى قد نذرت أن تدعو للأمام اذا أطلق سراح ولدها عبد الكريم .. وها هو ولدها حر طليق . وبقى على أمى أن تفى بالنذر .

وفى يوم جمعة ذهبت مع أمى وأخى منصور إلى المسجد الكبير ، ووقفنا أمام أحد أبواب الدكاكين المواجهة لباب خروج الأمام ...

أعتليت أنا وأخى منصور أحد الحجارة الموجودة أمام باب الدكان لنتمكن من رؤيه الأمام . وبعد تأدية الصلاة تحرك الموكب الملكى ... عربة حنطور يجرها أربعة جياد بيضاء ، ومن حولها كوكبة من الفرسان بأيديهم البنادق .. وكانت جموع كبيرة من الناس تنتظر خارج المسجد لترى الأمام فتحل عليهم البركة .. وخرج الأمام من الباب وخلفه عبد أسمه صمصام بيده سيف مذهب عليه عذبتان (فرنشه) تتدليان من أعلى الى أسفل ، وعبد آخر بيده مظلة يحركها حركات شبه دائرية . منظر رهيب يثير الخوف فى النفوس ولكن صورة الإمام التى انطبعت فى ذهنى بقيت كما هى ، وسألت أمى عن الشعاع النورانى الذى يشع من وجهه .. ولماذا الإمام اسود اللون ؟

نهرتنى أمى . وأمرتنى بالكف عن هذه الأسئله وقال : انه ابن رسول الله وهو أمير المؤمنين ... وحذار أن يسمعك أحد وأنت تردد ماتقول . وجذبتنى أمى وسرنا ومعنا أخى منصور وعدنا إلى البيت .. كانت أمى منشرحة الصدر ، مطمئنة النفس فقد وفت بنذرها . أما أنا فقد كنت خائفاً مضطرباً تنتابنى الهواجس منذ توقعت أن ينزل بى بلاء أو يحيق بى شر لانى جدفت فى حق الأمام ...

ومهما يكن من شيء . فقد أسلمت نفسى للنوم ، ورحت فى سبات عميق .

* * *

أطل على الناس شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .. ولأهل صنعاء عادات خاصة فى هذا الشهر الكريم فالمساجد تزدحم بالمصلين . وحين توشك الشمس على المغيب ، يفد المصلون ومعهم الفطور .. وعندما يؤذن المؤذن لصلاة المغرب يتسابق المصلون الصائمون فى تقديم مايحملون من الطعام إلى بعضهم البعض فى أخوه وحب صادق .. وهذا لون من الوان التكافل الاجتماعى الذى حض عليه الاسلام .

كنت وأخى منصور نصوم شهر رمضان ، على طريقة الأطفال فى كل بلد إسلامى . كنا نتناول طعام السحور مع أمى وأخى عبد الكريم وحيش وننام الى الظهر . وعندما نشعر بالجوع .. ندخل الغرفة ونغلق الباب والنافذة حتى لايرانا رمضان . ونأكل ونشرب مانشاء ونخرج من الغرفة كأن شيئا لم يحدث ... ونستمر على صومنا حتى أذان المغرب ..

وتمر أيام رمضان ولياليه مسرعة كالبرق ، ويبدأ الاستعداد لاستقبال عيد الفطر المبارك وكانت سعادتى أنا وأخى منصور غامرة عندما تصحبنا أمنا إلى سوق الملح القريب منا لشراء مستلزمات العيد من الملابس الجديدة . وهى الحلم الجميل الذى يداعب خيال الأطفال ، ولذلك كانت أمى تحرص دائماً على أن تشترى لنا ملابس جديدة فى كل عيد .

كان السيد حسين الحيشى تاجر مشهور معروف بأخلاصه وأمانته يستورد أقمشة من سوريا ومن غيرها من البلدان . وكانت أمى تفضل أن تشترى مانريد من القماش من محله لأنه تاجر أمين وصادق ..

وأشترت أمى القماش ودفعت به الى الخياطة المجاورة لنا فى حارة عقيل لتفصل لنا ملابس العيد وكدت أطير من الفرح والخياطة تأخذ لنا المقاس ، ثم تبدأ فى قص القماش وأثناء القص تظهر اعجابها بهذا القماش وجماله مما يزيدنا فرحا وسرورا .

وعندما أنام ارسم فى خيالى صورة رائعة للزنة « الجلباب » خاصة وأن تفصيل زنة جديدة لايكون إلا فى العيدين . عيد الفطر وعيد الأضحى .

وفى ليلة العيد نستحم فى حمام الطواشى القريب منا ، وهو أحد الحمامات التركية التى تنتشر فى صنعاء . وبعد ذلك نعود الى البيت لنجد أمنا قد أعدت قهوة القشر بالسكر، والكعك . والكيان . (تشبه الكيكة) فنأكل ونشرب القهوه ونحن فى غاية السعادة .. وعندما نشرع فى ارتداء الملابس الجديدة كانت أمى تقول ونحن نردد معها : «انا الجديد .. وأنت البالى » كما هى عادة أهل صنعاء وكنا نذهب فى اليوم الثانى من أيام العيـــد إلى حوى (حوش) بيت الحاج عبد الله محبوب حيث يجتمع الاطفال والبنات وتقام المداره (المراجيح) وفى وسط الحوى تقف بعض الفتيات فى صفين متقابلين يرقصن رقصة تشبه الدبكة اللبنانية ، وتغنى فتيات الصف الأول بهذه الكلمات ..

ياعصفر الهيل كن قلين الزجيم عاد العنب كحب كن طيبته .

وتتحرك فتيات الصف الأول نحو فتيات الصف الثانى ثم يعدن بخطوات رشيقة الى الخلف ووجوههن متجهة إلى فتيات الصف الثانى .

تقوم فتيات الصف الثانى بنفس الحركات . وتتكرر هذه الرقصات عدة مرات ولايوقف هذا الرقص الا الأذان لصلاة المغرب حيث يعود الجميع إلى البيوت .

ويتميز أهل صنعاء بعادات وتقاليد طريفة .
فكثير من العائلات الكبيرة والتجار الأغنياء يملكون بيوتاً فى الروضة والوادى ، وجده وسعوان ، وعصر حيث تزرع أنواع الفاكهة المختلفة مثل العنب ، والتفاح البلدى والبرقوق (المشمش) والعنبرود (الكمثرى) ...

والحمار يعد من مظاهر الثراء والترف عندهم . فالتاجر يخرج من بيته فى

الصباح ، وهو يحمل فى يده موقدا صغيرا من النحاس تتدلى منه سلاسل طويلة بنهايته قطعة من الكباء (مخلفات الحيوانات) وعلى الموقد جمة القهوة .. وباليد الأخرى يقود حماره مشدود اللجام وكلما نهق الحمار زاد صاحبه افتخاراً وأعجاباً .. واذا كان الحمار أبيض اللون نقش جزء من جسده بالحناء لزركشته ليصبح لونه مائلا للصفرة . ويقوم التاجر بربط حماره بجوار دكانه ويقدم اليه طعامه من القضب (البرسيم) والتبن . والشعير . ولاتركب الحمير إلا نادراً حتى تحتفظ بقوتها حتى يحين فصل الخريف (فصل الفواكه) وتبدأ رحلة الذهاب إلى مناطق الخريف المعروفة ، وتحمل الحمير الأثقال إلى هناك وعندما يلتئم شمل الأسرة يقوم ربها بالسفر يومياً بين منطقة الخريف ومتجره أو عمله فى صنعاء . ويفتح معظم التجار متاجرهم فى الصباح إلى مابعد الظهر ثم يجتمع مع رفاقه لأكل القات فى مكان يتفق عليه يسمونه « المنكاط » فى أى منزل يتفق عليه ..

ويحرص أهل صنعاء على الذهاب يومياً إلى الحمام التركى فى صنعاء أو فى منطقة الخريف قبل تناول طعام الغداء ويعتبر أكل الحلبة ضرورية يضاف إليها الفلفل الأخضر ويسمى البسباس أو البيار ..

أما من يبقى من أهل صنعاء فانهم يذهبون إلى خارج أبواب سور المدينة صباح كل يوم ـــ مثل باب شعوب وباب اليمن وغيرهما لانتظار القبائل القادمة من مناطق الخريف وهى تحمل معها البلس الغربى (التين) أو غير ذلك من الفواكه .

والقبيلى لايبيع مايحمل من الفاكهة بنفسه بل يذهب بها ومعه المشترى الى المصلح (السمسار) وهو الذى يحدد سعر البيع الذى يسرى على البائع والمشترى على حد سواء .

والمصلح (السمسار) يعرف المشترين وأماكن إقامتهم ليعيدوا إليه التورة (طبق كبير مصنوع من القش) بعد تفريغها .

وهو يأخذ عمولته من البائع والمشترى .
وكنت فى بعض الأحيان أذهب إلى المصلح (السمسار) الحاج محمد قبان المصلح فى سوق عقيل وعندما يقع نظره على يداعبنى ويتناول منى النقود ويعطينى الفاكهة التى أريدها . وكان رجلًا أمينا لم يحاول أن يغشنى مرة واحدة . بل كان يعاملنى — أنا الطفل الصغير — كما يعامل الكبار سواء بسواء .

وعلى المرأة واجبات ثقيلة .. إذ تبدأ عملها فى البيت عقب صلاة الفجر .. فهى تعد الصبوح (الافطار) وتنزع الماء من البئر اذا كان فى البيت بئر . فأغلب بيوت صنعاء بها أبار . أو تذهب إلى حيث يوجد الماء فتحمله على رأسها إلى البيت . وعليها طحن الحبوب ، وتنظيف البيت وطهى الطعام على التنور — هذا حسب الحالة الاجتماعية ويقدم الأكل حسب مواعيد أذان الظهر — وتقوم المرأة بضبط الوقت من خلال شعاع من الشمس يدخل من خلال فتحة فى الديمة (المطبخ) يسمى الشعاع « الزارقه » وتتبع بعض التقاليد عند تناول الطعام تختلف من أسرة الى أسرة حسب الوضع الاجتماعى .. فقد تجتمع الأسرة كلها لتأكل معاً على مائدة واحدة . وقد يأكل الرجال فى البداية ، ثم تأكل النساء بعد ذلك . ويقدم أحسن الطعام للرجال حباً واحتراماً لهم ..

والمرأة الصنعانية تقدر زوجها وتحترمه فهى لاتخاطبه إلا فى صيغة الجمع للتعظيم مثل أنتم ... وهكذا ... ويتم الزواج بأن تقوم أم أو أخت أو خالة أو جدة الراغب فى الزواج بزيارة إحدى الأسر وترى العروس بعد أن تكون قد سمعت عنها من الجيران أو الأقارب وبعد هذه الزيارة تعود لتصفها للعريس . وتتفنن فى الوصف فترسم للعروس صورة رائعة جميلة قد تكون بعيدة عن الواقع . يوافق العريس على الارتباط بهذه الفتاة الحلوة كما تصورها فى خياله وكما وصفت له ..

وتبدأ الخطوة التالية بأن تذهب الأم إلى بيت العروس أو ترسل اليها مع رسول يخبرهم أن أسرة فلان تريد زيارتكم بعد الغداء — كما هى العادة فترحب الأسرة بالزيارة الميمونة . وترتدى الفتاة أجمل ثيابها لتكون فى استقبال الضيفة الكريمة .

وتضع فتيات صنعاء وماحولها القرقوش على رءوسهن « غطاء من القماش تغطى به الفتاة شعرها ولايظهر إلا وجهها » علامة على أنها لم يسبق لها الزواج وتظل الفتاة مرتدية إياه طالما هى عذراء حتى الموت .

وترحب الفتاة وأمها بالضيفة ترحيباً حاراً ، وتظهر لها الأدب الجم والنشاط .. لتفوز برضاها .

وتبدأ مراسم الزواج بإقامة الولائم لعدد كبير من المدعوين . وقد يصاب العريس فى ليلة الزفاف بخيبة الأمل إذ لا يجد فى عروسه الصورة التى رسمها فى خياله وحسب وصف أمه لها .. ولكنه يكتم المرارة التى يحس بها فى أعماقه .. ويبدأ التفكير فى الزواج من جديد .. حسب قدرته المالية مع الاحتفاظ بالعروس الأولى .

* * *

وفى المساء كانت أمى تروى لنا الحكايات ، كانت قصصاً خرافية . عن العفاريت والجن ، وكانت هذه القصص ذائعه الصيت فى اليمن .. وكان الخردية « القصة » تبدأ بقول أمى : صلوا على النبى محمد ، فنردد : اللهم صلى وسلم على النبى محمد ونحن فى غاية الشوق لنسمع الخردية ..

ثم تقول : زيدوا النبى صلاة... وتستطرد قائلة :
كان هناك واحد ولا واحد إلا الله ومن عليه ذنب قال : استغفر الله . فنقول : استغفر الله . وقد تسمرت عيوننا على وجه أمى وهى تنطق بالكلمات فى تؤدة . تقول : كان فيه رجال قبيلى يسير وحيداً بين الشعاب ، وقد خرج من صنعاء بعد الغروب وأثناء سيره الطويل بزغ القمر فرأى على بعد شاه ولم يتأكد منها وعندما سمع صوتها فرح الرجل بها فهى هدية من السماء تبدد وحشة الطريق ويأكل منها حتى يصل إلى أسرته . وأمسك القبيلى بالشاة وحملها على كتفه وسار بها مسافة طويلة . وعندما اقترب من إحدى القرى سمع نباح الكلاب وفى الوقت نفسه سمع صوت من فوق رأسه يقول : أنزلنى ... أنزلنى — الكلب لب — خاف

القبيلى ، وارتجف من الرعب ، والقى بالشاة على الأرض . وعند هذا الحد من القصه نكون قد رحنا فى سبات عميق ...

وكانت أمى تحكى لنا حكايه المسحيية « نوع من الخرافات » عندما أتشاجر مع أخى منصور وخلاصة الحكاية . أن المسحيية تأتى كل سنة ، وخاصة يوم وقفة عرفات فتشم الاطفال من أرجلهم وتسحبهم (سحلهم) الى المقابر التى سيدفنون فيها عندما يموتون .

اما الحدوتة التى كانت تستأثر باهتمامنا وتحوز اعجابنا فكانت حدوتة نور .. تقول الحدوتة : فى بلاد بعيدة . كان هناك أمير يملك قصراً فخماً وسط حديقة غناء . وذات صباح كان الأمير يجلس فى الشرفة . ومن خلال الناظور [المنظار] رأى على امتداد البصر قبرا أبيض وبجانبه فتاة وفى يدها كتاب الله القرآن الكريم .

تعجب الأمير والتفت إلى أمه وقال لها :
أنظرى إلى تلك الفتاة الجالسة هناك إلى جوار القبر الأبيض . نظرت أم الأمير فى المنظار فرأت الفتاة مكومة على نفسها فرق لها قلبها وقالت للأمير : لماذا لاتحضر هنا لتعيش معنا فى هذا القصر الكبير ؟ وافق الأمير فى التو على أقتراح أمه . وأمر أحد أفراد حاشيته باستدعاء الفتاة . وحذره من أزعاجها . وذهب الرجل لتنفيذ أمر مولاه . فلما وقف إلى جوارها ، لم تشعر به ، فقد كانت غارقة فى تفكيرها ، وكانت تبكى بشدة فلمس كتفها .. فنظرت إليه متسائلة عمن يكون ! فقال : إن مولاى الامير يقرؤك السلام ، ويدعوك للحضور للمثول بين يديه .

خافت نور المسكينة ، وارتعد جسدها من الخوف . فهى لاتريد أن يعرف أحد قصتها . لم تجد نور مفراً من الذهاب إلى القصر . وهناك قابلتها أم الأمير وبهرها جمالها الأخاذ . وأدبها الجم . سألت الأميرة : ماقصتك ياابنتى ؟ وابنة من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ ولماذا تقيمين الى جوار ذلك القير ؟

أجابت نور : يخص الله [هذا يعود إلى الله وحده] .
عرفت الأميرة أن وراء هذه الفتاة قصة ... ولكنها لم تلح عليها فى السؤال لتعرف سرها . وأمرت احدى البزياء (أى خادمة القصر) بأن تعد لها غرفة وأن تقوم على خدمتها ..

أخبرت الأميرة ولدها بما حدث فقال الأمير لأمه :
ـــ دعيها تعيش معنا فننال الثواب من الله .

كانت نور ممشوقة القد ، رائعة الجمال ، صوامة ، قوامة ، تقرأ القرآن الكريم بصوت خاشع عذب فأحبها كل من فى القصر .

وذات يوم قالت الأميرة لولدها : لقد أحببت هذه الفتاة الغريبة وأنا أعتقد أنها من عائلة كبيرة ولها قصة لاتريد أن يعرفها أحد . واستطردت تقول وانا يابنى أختار هذه الفتاة زوجاً لك فما رأيك .. ؟

قال الأمير : أريد أن أراها أولا قبل أن أقول رأيى ..
قالت الأم : سأدعوها إلى غرفتى . وأنت تقف خلف الباب لتراها ولكن حذار أن تراك .

جلست نور فى غرفة الأميرة .. مطرقة الرأس فى حياء ، وقطعت الأميرة حبل الصمت قائله : هل أنت مستريحة فى القصر أم تشكين من أى تقصير . ؟

أجابت نور : أشكرك يامولاتى على رعايتك لى ..
كان الأمير يرى نور من ثقب الباب ، وأعجب بها أعجابا شديداً . ووافق على الزواج من هذه الفتاة الفاتنة

وسار البشير فى المدينة يعلن عن هذا الزواج الميمون . وكان أهل المدينة يسألون ابنه من هذه الفتاة ؟ . فيقال لهم : إنها أميرة من أميرات الهند ،

تعلمت اللغة العربية وهى من المسلمات ..

ومضت الأيام .. وولدت نور مولوداً جميلًا ، فعمت الفرحة كل من فى القصر ..

وذات يوم .. وبينما كانت نور فى غرفتها تقرأ القرآن ، وطفلها إلى جوارها . انشق الجدار .. وخرج منه سيدنا الذى هربت منه ، ووقف أمامها وقال :

ــ يانور مارأيت من سيدنا من عجب ؟
أجابت نور : قراءةوعلم بالأدب .
قال : هل فك حجلك [الخلخال] من رجلك ؟
أجابت : لاياسيدنا .

وتقدم سيدنا من نور ووضع على فمها قطرات من الدم وخطف الطفل .. وأختفى .

وفى وقت واحد أقول أنا وأخى منصور : مسكينة نور .
ونسأل أمى : ولكن ماسبب هروب نور من أهلها ؟

تجيب أمى : أن أسرة نور أحضرت سيدنا ليعلمها قراءة القرآن والصلاة وأمور الدين .. وفى يوم انشق الجدار وخرج منه سيدنا وهو يحمل فى يده فخذة حمار . وتحول سيدنا الى كلب وبدأ يلتهم فخذة الحمار .

خافت نور . وهرعت نحو باب الغرفة هاربة وسقط حجلها [الخلخال] من قدمها ..

وتستطرد أمى قائلة : وعندما أحضرت الجارية الطعام لسيدتها نور . وقع بصرها على المنظر الرهيب ففغرت فاها فى دهشة ، وسقطت على الأرض ، ثم

نهضت تجرى إلى الأميرة تقص عليها مارأت . فلم تصدق الأميرة .. ماسمعت واتهمت الجارية بالجنون ولكن الأميرة ازاء اصرار الجارية على قولها ذهبت لتتأكد من صدق قولها . فهالها مارأت وصرخت فى نور قائلة .

ماذا فعلت بابنك . أنت معتوهة .. أنت من أكلة لحوم البشر ؟ !
ترد نور فى هدوء : يخص الله .. يخص الله

أمرت الأميرة الجارية أن يكون مارأت سراً فى طى الكتمان .. وأعلن فى المدينة أن الطفل قد إنتقل إلى رحمة الله .

ومرت الأيام .. وحملت نور من جديد . ولما جاءها المخاض أمرت الأميرةالخدم أن يضعوا طعاماً وفيراً على مائدة بالقرب من سرير نور حتى يكون الطعام فى متناول يدها .

ووضعت نور طفلًا جميلًا ، ولكن نور المسكينة الصابرة قد طاردها النحس فقد غادرت خادمتها الغرفة لتأدية الصلاة . وفى هذه اللحظة انشق الجدار وخرج منه سيدنا وسأل نور :

ـــ مارأيت من سيدنا من عجب ؟
قالت نور : قراءة وعلم بالأدب
قال : هل أنفك حجلك من رجلك ؟
أجابت : لاياسيدنا .

وفى سرعة خاطفة أنتزع الطفل من بين أحضانها ، وخضب فمها بالدم .. وأختفى .

وعندما عادت الخادمة ورأت فم نور الدامى شهقت فى فزع واندفعت كالمذهولة تجرى نحو غرفة الأميرة تروى لها ماحدث . جاءت الأميرة إلى غرفة

نور وهى غاضبة حانقة على نور وقالت لها : ماذا فعلت بابنك أيتها المعتوهة ؟ ! كيف تأكلين أولادك مثل الدم « القطط » . ماذا تقولين لزوجك ؟

ردت نور فى هدوء : يخص الله .. يخص الله .
لم تستطع الأميرة أن تخفى عن ولدها الأمير حقيقة ماحدث فاعتقد أن نور من أكلة لحوم البشر . وأصدر أمراً بأن توضع نور فى غرفة مظلمة .

عزم الأمير على السفر لتأدية فريضة الحج . فجمع من فى القصر وسألهم عما يريدون أن يحضره لهم من مكة المكرمة . وحدد كل فرد منهم مايريد . وطلب الأمير من أمه أن تسأل نور المسجونة عن الهدية التى تريدها . قالت نور لأم الأمير : حجرة الصبر ومفتاح الفرج .

دهشت الأميرة وولدها لهذا الطلب ولكن الأمير صمم على أن يحضر لنور ماتريد .

وفى مكه المكرمة راح الأمير يسأل كل من يقابله :
ــ من أين أشترى حجرة الصبر ومفتاح الفرج . فلم يدله أحد . حتى كاد يشعر باليأس من العثور عل الهدية المرجوة . وبينما كان الأمير يمشى فى شعاب مكة المكرمة التقى برجل قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا . فاقترب الامير منه وسأله : أين أجد حجرة الصبر .. ومفتاح الفرج .

قال الرجل : ــ اذهب إلى تحت ميزاب الكعبة المشرفة واطلب ماتريد ، وسيصل الطلب إلى من طلبه .

وفعل الأمير ماأمره به الرجل العجوز .

وعاد الأمير إلى بلاده وخرجت المدينة عن بكرة أبيها تستقبل أميرها العائد من الحج أستقبالًا حاراً . وبعد أن استراح الأمير من متاعب السفر فتح حقائبه

ووزع الهدايا على خدمه وحشمه وأهله . وفى هذا الوقت أنشق الجدار فى الغرفة المظلمة التى تقيم بها نور وخرج منه سيدنا وقال :

ـ يانور مارأيت من سيدنا من عجب ؟
أجابت : قراءة وعلم بالأدب ..
قال : هل أنفك حجلك من رجلك ؟
قالت : بلى ياسيدنا .

أوقد سيدنا الشموع والأتاريك « الكلوبات » وصف الكراسى المذهبة وفرش الأرض بالمفارش « السجاجيد » الفاخرة ، وطلى الجدران بطلاء أبيض اللون . وزين نور ووضع حول عنقها ليه (عقد) من الذهب والياقوت . وجاء سيدنا بولدى نور وقد أرتديا أفخر الثياب وعلى رأس كل منهما كوفية مذهبة وبيد كل منهما مصحف كريم .

لم تكد نور ترى ولديها حتى تضاربت مشاعرها فراحت تبكى وتضحك فى آن واحد .

وضمتهما إلى صدرها فى حنان وشوق ..

أعد سيدنا مائدة كبيرة احتوت على كل مالذ وطاب من ألوان الطعام والشراب .

وفى هذا الوقت كانت الأميرة فى الديمة « المطبخ » تشرف على الجوارى واليزايا « الخادمات » وهن يقمن بطهى الطعام واعداد المائدة للأمير وضيوفه الذين قدموا لمجابرته « للزيارة والمشاركة فى الفرح » .

وصعد أبناء نور إلى الديمة وقاموا بتحطيم الأطباق والأوانى الفخارية وألقوا مافيها من الطعام على الأرض . وقد حاولت النسوة الإمساك بالولدين ، ولكن

عندما كانت أيديهن تمتد لتقبض على الولدين كانا يقفزان فى خمة ونشاط فتقبض النسوة على الهواء ويقول الولدان :

مش حق أبوهم ويضربوهم .

أخبرت الأميرة ولدها بما حدث من الولدين المجهولين . فدهش الأمير كيف تمكن هؤلاء الأولاد من دخول القصر والأبواب مغلقة والحراس يقفون عليها ، وهم شاهرون السلاح ؟ !

وبعد انصراف الضيوف أمرت الأميرة الخادمة أن تحمل بقايا الطعام الى نور لتسد رمقها بهذا الفتات . وحينما أقتربت الخادمة من الطابق الذى تقيم فيه نور سمعت صوتاً عذباً يرتل آيات كريمات من القرآن المجيد .. فنظرت من ثقب الباب فرأت نور وولديها يجلسان من حولها على مقاعد مذهبة ، والنور الباهر يسطع فى كل مكان .. جرت الخادمة . مذعورة وقصت على الأميرة مارأت فاستجمعت قواها وقامت من مكانها مسرعة لترى حقيقة ماجرى ، وتحققت من صدق قول الخادمة ، وأخبرت ولدها الأمير الذى ماكاد يسمع ويرى هذه الأشياء العجيبة تجرى من حوله حتى أصدر أمراً بفتح باب الطابق . ودخل . فاذا نور وولديها على المقاعد جالسون يرتلون القرآن الكريم ولم يلتفتوا الى من فتح عليهم الباب .

سأل الأمير نور : ماهذا الذى أراه ؟ !. !

لاذت نور بالصمت . فأعطاها مسبحة الأمان .

فسردت عليه قصتها ، فتأثر الأمير وأمه بما حدث لنور . وعادت نور إلى زوجها الأمير وعاشت فى القصر مع ولديها معززة مكرمة . وأصبحت زوجة الزمان لاشهر ولا ثمان .

كانت هذه القصة أثيرة لدينا ، حبيبة إلى نفوسنا ، فكنت أنا وأخى منصور نسعد بسماعها .. ونستغرق فى النوم وأحداثها تمر أمام عيوننا كأنها

شريط سينمائى (فى عصرنا الحديث)

وقصة أخرى قصيرة . وتؤكد الخرافات عن (صباط) الجنيه التى تحول الأنسان الى حيوان ...

وتتلخص فى أن رجلًا أحب إمرأه وتزوجها وكان كلما يعود إلى البيت حمل معه الجعالة فى مصر [منديل به زبيب ولوز وجوز وغير ذلك] . ففكر الزوج فى شراء حمار بثمن مايشتريه من الجعالة ويصبح عنده حمار كأهل صنعاء ونفذ الفكرة وبدأ يهتم بالحمار فكان كلما عاد إلى البيت يحمل برسيم والشعير للحمار . غارت الزوجة من الحمار الذى حظى بأهتمام زوجها . وكان السبب فى قطع الجعالة الفاخرة عنها .

فكرت الزوجة جيداً لتتخلص من الحمار الذى كان السبب فى قطع الجعالة ..

وذات يوم سمعت الزوجة صوت شوترى « السمسار » وهو يسير بجوار البيت ينادى من يريد بيع بقرته أو حماره فطلبت منه أن يشترى الحمار ولكن بشرط عدم أخذ الخطام فوافق الشوترى على هذا الشرط .

وعندما عاد الزوج ومعه مفصح القضب [حزمة البرسيم] لم يجد الحمار فسأل زوجته :

ـــ أين الحمار ؟ !

راحت الزوجة تلطم خدودها وتبكى بشدة وتقول : لو تعرف ماذا حدث ؟

سأل الزوج فى لهفة : ماذا حدث ؟ تكلمى .

أجابت الزوجة : أن الحمار تحول الى قاض له لحية كثيفة بيضاء ، ووضع على عينيه المياصر [النظارة] وقال لى : عندما يعود زوجك أخبريه أنى فى أنتظاره فى المسجد الكبير بجوار أحد الدعائم [الأعمدة] .

ذهب الرجل مسرعاً الى المسجد الكبير وهو يحمل فى يده مقصح القضب [حزمة البرسيم] . وفى أحد أركان المسجد بجوار أحد الدعائم [الأعمدة] رأى قاضياً تنطبق عليه نفس الأوصاف التى ذكرتها زوجته .

اقترب منه وهو يهز مقصح القضب [البرسيم] أمام وجه القاضى ويقول :

— تش تش حمارى .

لم يصدق القاضى مايراه ، فنهض مهرولًا ، فقد ظن أن بالرجل مساً من الجنون وتجمع من بالمسجد حول القاضى وسألوه : ماهى الحكاية ؟ ! فلما قص عليهم ماحدث القوا القبض على الرجل وسألوه : ماذا تفعل ياقليل العقل ؟

فأجاب : هذا القاضى حمارى . وراح يحدثهم بما جرى .

فأغرق الناس فى الضحك وقالوا له : لقد سخرت منك زوجك . ورجع الرجل إلى البيت غضبان أسفاً ، وصرخ فى وجه زوجته :

— أيتها الكاذبة .. لقد جعلتينى مضحكة للناس فى المسجد .

قالت الزوجة فى هدوء :

— لقد جعلت من الحمار طيبته [زوجة ثانية] وأهملتنى فكان لابد أن أتخلص منه . والآن مارأيك هل نستأنف حياتنا من جديد أو تطلقنى .

قال الرجل : بل نعود يازوجتى العزيزة إلى حياتنا من جديد ، وعادت الحياة إلى مجاريها بين الزوجين ورفرفت عليهما السعادة والهناء .

لقد سردت هذه القصص لكى يعرف أبناء الجيل الجديد . كيف أن الأساطير والخرافات كانت تسيطر على العقول بهدف صرفها عن التفكير الجدى فى أمور بلادها إلى لون من ألوان الأحلام المريضة .

ان الأطفال فى حاجة الى قصص توسع مداركهم وتشحذ خيالهم وتغرس فى قلوبهم الفضيلة والقيم النبيلة ، والمثل العليا والمبادىء السامية الرفيعة ..

الفصل الثانى

فى تعز ... من جديد

جاءت الحجة سعدة البحرية تحمل الينا بشرى سفرنا الى تعز مسقط رأسى وحيث يقيم أبى . فرحت أمى فرحاً غامراً لهذا النبأ السعيد . وبدأت تعد العدة للسفر . فطلبت من أخى عبد الكريم وحيش أن يقوم بأجازة لمدة شهر ليصحبنا فى هذه الرحلة الطويلة والشاقة .

استأجرت الحجة سعدة البحرية جملين وحمارين فقد كانت هذه الدواب هى وسيله أهل اليمن فى السفر إذ لم تكن السيارات والقطارات والطائرات قد عرفت فى بلادنا بعد . فقد أسدل الحكام على شعبهم أستاراً كثيفة ليحولوا بينه وبين معرفة مايجرى فى العالم من تقدم ورقى ليستمروا فى استبدادهم وظلمهم وطغيانهم . وضع الجمال متاعنا على ظهور الجمال . وبدأنا الرحلة قبل صلاة الفجر . كانت القافلة تمشى الهوينا حتى وصلنا الى باب اليمن [باب السلام اليوم] فإذا به مغلق . فقد جرت العادة أن تغلق أبواب المدينة كلها بعد صلاة العشاء .. ويعلن اليسك [منع التجول] ويسمح بالتجول وفتح أبواب المدينه بعد صلاة الفجر ..

وتحدث أخى عبد الكريم وحيش مع الجنود الذين يحرسون الباب وأخبرهم أنه ضابط ، ففتح الباب ودلفت القافلة من باب اليمن ومضينا فى طريقنا نحو تعز .

كنت أمتطى ظهر حمار ، وأمى وأخى منصور يركبان على ظهر جمل ، وأخى عبد الكريم يركب الجمل الآخر ، أما الجمال صالح .. فكان يسير على قدميه يقود الجمل الأول .

وعندما وصلت القافلة الى ماجل الدمه [سد خارج صنعاء يقال أن قطة ماتت فيه فسمى باسمها] وقفنا مدة حتى تشرب الجمال والحمير . وبعد استراحة قصيرة بدأت الرحلة من جديد ووصلنا إلى منطقه قاع الحقل . كان الجو شديد البرودة ، والصمت الرهيب يخيم على المكان الذى لم يكن يقطعه إلا صوت ناقوس الجمال . بدا الطريق أمامى طويلا لانهاية له . وشعرت بدوار ، واعياء .. ولاحظت أمى أنى لاأكاد أستقر على ظهر الحمار فطلبت من الجمال أن يوقف القافلة حتى تطمئن على .. وحملتنى أمى فى حنان دافق إلى الجمل الذى تركبه ، ودثرتنى بأغطية ثقيلة حتى أشعر بالدفء . ورحت فى سبات عميق ..

وصحوت من النوم على مس أشعة الشمس ، وقد برزت من خدرها ، وألقيت نظرة على قمم الجبال وهى تسبح فى هالة من النور ، وترسل أشعتها على الوديان والقرى وقلت : سبحان الذى أبدع كل هذا الجمال ..

ومنذ ذلك اليوم وأنا أحب الشروق ، وأكره الغروب . فالشروق حياة ، والإنسان الحى هو الإنسان الفعال الذى يسهم ايجابياً فى تقدم ورفعة المجتمع الذى يعيش فيه . أما الغروب فموت وفناء .. والإنسان الميت هو الإنسان السلبى الذى يقف ساكناً والمجتمع من حوله يموج بالحركة والنشاط . وانا أحب الحياة وأريد أن أفنى عمرى كله فى خدمة وطنى وعروبتى .. وهذه هى السعادة الحقيقية أن ترى الابتسامة على شفاه الآخرين .

كانت مناظر الوديان والجبال تشدنى ، فأمعن فيها النظر . وأريد أن نقف

عندها طويلًا كى أتأملها .. ولكن القافلة تسير على حداء الجمال وأصوات النواقيص [الاجراس] حتى وصلنا إلى منطقة معبر وكانت هذه هى المرحلة الأولى والمرحلة تبدأ من الشروق إلى الغروب وقد تطول المسافة أو تقصر وفى اليوم الثانى بدأت المرحلة الثانية وبدأت المناظر الجميلة للجبال والوديان تسير معنا فى رحلتنا الطويلة والشاقة ..

وعندما بدأت القافلة تسير اقتربنا من منطقة بين مدينتى دمار وبريم توقفنا لكى نستريح ونشرب من السبيل الذى يشرب منه المسافرون ، ونشرب الدواب من الحوض المخصص لها .

وبينما كانت أمى تسير على الطريق تستروح نسمات الصباح صاح أخى عبد الكريم فجأة : ياأمى .. احذرى الحنش « الثعبان » خلفك .

كانت هذه أول مرة فى حياتى أرى فيها الثعبان ، فسرت رعدة الخوف فى كيانى كله وحاولت أن أجرى ولكنى تسمرت فى مكانى حتى جذبنى أخى عبد الكريم وحيش بعيداً عن الثعبان . أما أمى فلم تصدق أن هذا ثعبان . إذ كانت تعتقد أن قبر ولى الله الهادى يقع على هذا الطريق . وأن ترابه طاهر لاتقترب منه الثعابين والحشرات . وكانت تريد أن تحتفظ بحفنة من هذا التراب بركة . وفعلا فعلت ذلك .

ضحك أخى عبد الكريم وحيش وقال بسخرية :

ــماينفعش الولى الهادى ولا ترابه كلها أكاذيب وخزعبلات .

قالت أمى :

ــ أسكت لاتردد هذا الكلام حتى لايعاقبك الولى الهادى . وإن مارأيت ليس بثعبان وإنما هو أحد حراس الولى الهادى !

* * *

اقتربنا من ثقيل سماره [طريق مرتفع من العسير السير فيه] حيث توجد قهوة يرتاح المسافرون فيها .. والطريق فى ثقيل سماره مرصوف بالحجارة البيضاء الملساء ليتحمل ضغط حركة المرور عليه ويسهلها . فالقادم من صنعاء . والذاهب إليها لابد أن يمر على هذا الطريق الذى تكثر فيه الانحناءات والالتواءات ، وعلى جانب الطريق أشجار مختلفة تلطف الجو .. وعلى امتداد الطريق تسمع صوت نواقيس الجمال والحمير [أجراس] أثناء سيرها مختلطة بأصوات الجمالة وهم يرددون أغنيات جميلة عذبة ..

تقول إحدى هذه الأغنيات وهى لمؤلف مجهول :
عنق الغزال ياملتوى سماره

شل « بلغ » السلام وبلغه كرامه [سلامه]

وصلنا الى مشارف مدينة « إب » المدينه الجميله ، بيوتها البيضاء ، التى يحتضنها الجبل الأخضر فى حنان ، فتبدوا كأنها لوحة أبدع رسمها فنان عبقرى

كان الطريق بالقرب من مدينه إب قد رصف بحجارة بيضاء مصقولة ، وفى نهايته سمسرة « أستراحة » تتألف من طابقين الأول للدواب ، والثانى للمسافرين . شعرت أنا وأخى منصور بالراحة فى هذه المدينة الضاحكة . وتمنيت أن نمكث فيها عدة أيام لنتمتع بمشاهدة إب الرائعة .. خصوصاً بعدما شاهدنا فى طريقنا اليها من مدن وقرى .. وكانت مشاهدها لاتريح النفس ..

لكن أمى أصرت على أن نغادر المدينة فى الصباح ونستأنف السفر وسرنا من مدينة إلى مدينة والقافلة تشق طريقها .. حتى وصلنا إلى منطقة السياتى وعند اقتراب الغروب كنا فى قرية أسمها المخاور فوقفنا لنستريح فى سمسرة كبيرة هناك ..

قالت أمى لأخى عبد الكريم :
ــ فى هذا المكان قتل الأتراك أبوراس فكن على حذر .

وكانت السمسرة خالية حتى من أصحابها . جلس أخي عبد الكريم فوق متاعنا وأمسك البندقية بيده فى حالة تأهب واستعداد لردع أى عدوان يقع علينا ..

وذهب صالح الجمال إلى إحدى القرى القريبة منا لأحضار الطعام والشراب ..

وفى تلك الليلة الموحشة كانت تداعب خيالى منظر قرية السباقى فى حضن الجبل ومئذنتها البيضاء ومسجدها الجميل ومجموعة من البيوت البيضاء وكان الدخان يعلو سطوحها استعداداً لتجهيز الغذاء كانت صورة جميلة من صور الطبيعة أما أخى منصور قد كان متعباً يشكو من ظهره لكثرة هزات الجمل أثناء سيره واثناء النزول والطلوع فى تلك الجبال والطرق الوعرة لقد قطعنا ست مراحل وقد اقتربت آخر مرحلة وهى السابعة [كل مرحلة يوم من شروق الشمس حتى غروبها]

تركت القافلة السباقى [سمسرة المخادر] واقتربنا من قرية القاعدة وهى قرية يجتمع فيه الفلاحون لتبادل التجارة وهي سوق كبير يقام كل أسبوع . أسترحنا بالقاعدة وكانت خيالة . فلم يكن موعد السوق ، وبدأت القافلة تقترب من تعز وقد دب التعب فى اجسادنا وزاد شوقنا لتعز فقد كانت أمى تصفها لنا ونحن فى صنعاء وتقول لنا : انها مدينة جميلة بها كل الحلويات التى يحبها الاطفال ففيها المشبك وفيها الفواكه مثل عنب الخبات [المنجو] وعنب الشام [الياباز] ..

وصلت القافلة إلى قاع واسع يسمى قاع الجند تكثر فيه أشجار النبق [العلب] المشوكه وبعد مسافة قصيرة كان مسجد أبيض رائع وهو مسجد مشهور هو مسجد الجند : وسرنا فى هذا الوادى أو القاع حتى وصلنا وادى الحوبان أوقاع الحوبان وفى وادى الحوبان قبر أبيض يقال أنه لولى يساعد النساء على انجاب [الذكور] هذه الخرافات هى الوسيلة الوحيدة التى يلجأ اليها المظلومون لتساعدهم على متاعب الحياة القاسية التى يعيشونها فى ظل الطغيان والكهنوت ..

وبعد مسافة قصيره من ذلك الولى تقع تبة صغيره بها جرف مدخله واضح وأمام هذه التبه والجرف تقع مقهى الحوبان وتتكون من ثلاث غرف صغيرة وقد بنيت من الحجر العادى والطين محاطة بسياج من الزرب [أغصان مشوكة من أشجار العلب والقرض] — والعلب يعنى النبق — وعندما وصلنا إلى قهوة الحوبان والتبه المقابلة لها راحت أمى تحكى لأخى عبد الكريم وحيش قصه طاهش الحوبان الشهير ..

وكيف أن هذا الطاهش [حيوان مفترس] يأكل الإنسان ولايترك إلا أطراف يديه ورجليه وكنت وأخى منصور نستمع لما تقوله أمى وعيوننا متجهة إلى باب ذلك الجرف نتصور أن الطاهش سيخرج ليأكلنا .

لقد بدد الخوف أقترابنا من مدينة تعز مسقط الرأس .. وأثناء سيرنا ظهر جبل صبر وهو جبل عالى ثم ظهر قصران جميلان كان على الوزير أمير تعز قد تباهى بهما أثناء حكمه لتعز لقد كان القصران روعة فى الهندسة المعمارية وهما متشابهان فى الهندسة والزخرفة الخارجية وقد طلى القصرين باللون الأبيض والنوافذ الواسعة والعقود الزجاجيه المشهورة فى اليمن .

قالت أمى : هذه تسمى دار النصر انهما قصران يكادان أن يرحبا بكل قادم الى تعز ..

ثم بدأ يظهر علينا جبل القاهرة وبيت أبيض جميل فى قمته وسرنا فى الطريق وكلنا شوق لتعز وها نحن فى حوض الملك الأشرف وها هى مدينة تعز تحت منا لابد أن ننزل اليها من خلال طريق منحدر « أسمه القصبه »

مدينه جميلة احتضنتها الجبال وارتفعت مآذنها البيضاء ومساجدها المنتشرة هنا وهناك وبيوتها المتفرقة والواقعة بين الحدائق [البساتين] ..

بدأت القافلة تقترب من تعز وقد دب التعب فى أجسادنا . ووقفنا أمام

باب الكبير . [لم يكن باب الكبير كما هو عليه الان لقد كان صغيراً] لم تستطع الجمال المحملة الدخول بالأثاث من الباب الكبير . وطلب الحارس من الجمال أن يدخل من باب موسى فهو أكبر وأوسع .. وأعتقد أنه شيد فى عهد الأتراك .

وفى حافة « حارة » أسحق حيث يقع بيت جادو أفندى صديق أبى . توقفت القافلة . وأقمنا فى هذا البيت حتى عاد أبى من مقر عمله كقائد لمنطقة المخاء . واستأجر لنا بيتاً من التاجر حسن عيصوران .

وكان البيت يتكون من ثلاثة طوابق وله حوش ويطل على المعباء [حيث يعبأ القات وتحفظ البضائع ويسكنه الخيالة والهجانة] وأمامه مباشرة غرفة كبيرة بدون باب بها ضريح لولى مجهول الأسم .

* * *

خرجت مع أخى منصور إلى سوق تعز لشراء بعض الحاجيات ، وقد أثار دهشتى أنى رأيت امرأه تسمى فاطمة بنت مستور ، عرفت أسمها فيما بعد ، تقف فى الدكان حاسرة الوجه ، تبيع للزبائن ، وتلبى طلباتهم فى سرعة وأدب فاقتربت منها على أستحياء . فشجعتنى بابتسامة حلوة وقالت :

ـــ ماذا تريد يابنى ؟

قلت فى صوت هامس : عنب الشام [الياباز] وحملت الفاكهة ورحت وأخى منصور نحملق فى عنب الشام ولونه الأصفر ، ووضعت قطعة منها فى فمى وحاولت مضغها فلم أستطع .

وقالت لنا أمى : لابد أن يقشر الجلد الخارجى للعنبة .

وصنعنا ماقالت أمى . ولكن لم يعجبنى مذاق العنب فطوحت به بعيداً

فهذه أول مرة أذوق فيها هذه الفاكهة .

جاء إلى بيتنا بعض أصدقاء أبي يحملون صندوق الطرب [الفنوغراف] كما يسمونه فى تعز ومجموعة من الصحون [الاسطوانات] وقعدوا يخزنون [يأكلون القات] وبدأ صوت ينساب رقيقاً من هذا الصندوق الخشبى العجيب . كان صوت المطرب اليمنى محمد المأسى كانت آذاننا ترهف السمع وهو يغنى :

سـار الدبـور والقبـول أقبـل
يانشوة القلب وأفراحه . الخ

كانت أمى طيب الله ثراها غير راضية عما يجرى من حولها فى البيت .

فقد كانت شديدة التمسك بالدين وتعد سماع الموسيقى التزين بالذهب ووضع الصور على الحائط من المحرمات ..

وقد تحدثت فى شأن هذا كله مع أبى فوعدها خيرا ..

اراد أخى عبد الكريم وحيش أن يمكث فى تعز ، فقد أحس بالجو الأسرى الجميل مما جعله يفكر فى أن ينقل مقر عمله إلى تعز خاصة وأن أبى كان يعامله كأحد أبنائه .. وجو الطرب والقات وهو شاب يتطلع إلى الحياة الحلوة الخالية من بعض التقاليد البالية المقيدة لحركة الأنسان فى كل شيء ..

لكن أمى طلبت من أخى عبد الكريم أن يعود إلى صنعاء حيث عمله ومستقبله فغادر تعز وهو حزين ..

التحقت وأخى منصور فى معلامة أسحق بجوار مسجد أسحق وفى هذه المعلامة التى كان يدرسنا فيها الفقيه سعيد رحمه الله وكان رجلا طويلا وله ولد يساعده عند غيابه اكتشفت وجود اختلاف بين معانى الكلمات فى كل من

صنعاء وتعز لم تكن هناك وحدة فكرية بين أبناء الوطن الواحد . ويرجع ذلك الى عدم وجود قنوات اتصال بين المدن والقرى . فالطرق شديدة الوعورة . والصحافة معدومة ، إلا جريدة رسمية واحدة تصدر فى صنعاء حسب لمناسبات تسمى الأيمان ، أما الإرسال الإذاعى فلم يكن معروفاً فى اليمن يومئذ .

كنا نحن الطلبة نقوم بعد انتهاء الدراسه بالتدريب على السباحة فى بركة مسجد أسحق .. وقد كدت أموت غرقاً فى تلك البركة يسبب عدم أستخدامى للدييه [قرعة مجوفة تربط على ظهر الشخص لمساعدته على السباحة .

ففى ذلك اليوم كان الماء صافياً والطلبة يسبحون ويمرحون فى الماء .. فقفرت أنا ايضاً إلى البركة دون أن أنتبه إلى عدم وجود الدييه ، وراحت المياه تلاطمنى ، وأنا أصعد وأهوى معها . ورآنى أحد المصلين وانا أشير بيدى الصغيرة انقذونى .. انقذونى فأسرع وحملنى بين يديه ، ووضعنى على حافة البركة ورفع ساق إلى أعلى لتخرج المياه التى دخلت إلى معدتى .

★ ★ ★

تلقى أبى هدية بمناسبة عيد الأضحى المبارك بربرى [خروف صومالى غريب الشكل ، فقد كان أسود الرأس ، أبيض الفرو والية صغيرة [ثريه] . وقد قامت صداقة بيننا وبين البربرى . فكنا نلعب معه ، ونمد إليه أيدينا بالطعام ونشعر بالسعادة ونحن نراه يلتهم مانقدمه اليه من الحشائش والبرسيم ..

وأشترى أبى خروفين مختلفين فى الحجم أحدهما صغير والأخر كبير . وكنا ترعى الخراف الثلاثة بعناية كاملة حتى يحين موعد ذبحهم فى العيد ..

ويحتفل الشعب اليمنى بوقفتين للعيد .. الوقفة الصغرى ويذبح فيها الخروف الصغير والوقفة الكبرى ويذبح فيها الخروف المتوسط أما الخروف الكبير فيذبح يوم العيد .

ويعود هذا إلى الحالة المالية لكل أسرة ..

وفى يوم الوقفة الصغيرة ذهبت مع أخى نلعب مع الخرفان فى الحوش . كما تعودنا . وهناك كانت تنتظرنا مفاجأة .. فقد شاهدنا الخروف الصغير مذبوحاً والجزار ينزع جلده وعدنا إلى داخل الدار نجرى فى هلع وخوف ونبكى صديقنا العزيز الذى ذبح . وهدأت أمى من روعنا ووعدتنا بأن تبقى على الخروفين الآخرين . ولكن فى اليوم الثانى وهو يوم الوقفة الكبيرة ذبح خروف ولم يتحقق وعد أمنا بالابقاء على الخروفين فسألناها عن السبب الذى من أجله لم تف بوعدها ؟

فأجابت : إن العادة قد جرت على ذبح خروف فى يوم الوقفة . وانطلقت المدافع من جبل القاهرة أبتهاجاً بحلول عيد الأضحى المبارك ، وارتدينا الملابس الجديدة .

وذهبت وأخى منصور إلى الحوش نلقى نظرة على صديقنا العزيز « البربرى » فاذا به قد ذبح .. بكينا فى يوم العيد على صديقنا البربرى فقد فقدنا صديقنا الذى كنا نسعد برؤيته ..

لقد ترك هذا المنظر فى قلبى جرحاً غائراً ، فحرمت على نفسى أكل اللحم لسنوات طويلة ، ولم تمتد يدى إلى اللحم إلا وأنا تلميذ فى المدرسه الثانوية بحلوان .

وانقضت أيام العيد ، كالحلم السعيد .

ووقفنا أمام الباب نودع أبى عند سفره إلى مقر عمله أميراً لمفرزة المخاء . وبكينا لفراقه ، فقد كان رحيماً بنا باراً بأسرته ..

كانت الأغلبية من أهل تعز فقراء .. ، وكان عدد القادرين على شراء الضروريات قليل ، فلم تكن تعز تأكل أكثر من خروفين أو ثلاثة فى اليوم . وثور ـ

كل يومين أو ثلاثة خاصة يوم الوعد [السوق لوصول الناس من حول تعز اليها] الخميس من كل أسبوع . حيث يفد اليها أهل القرى المجاورة . أن هذه الاحصائية تدل على أن معظم الشعب اليمنى كان يعيش تحت حد الفقر .. وكانت تعز تعتمد على المياه الغزيرة القادمة من جبل صبر بعكس صنعاء التى تعتمد على المياه الجوفية ونهر أسمه [الفيل الأسود]

وأكثر سكان أهل صنعاء يعتمدون فى طحن حبوبهم على المطاحن الموجودة فى مدخل المنزل وكان يوجد فى صنعاء طاحونتان إحداهما فى حارة الزمر والأخرى فى حارة سوق البقر ..

أما فى مدينة تعز فقد كان هناك طاحون فى حارة خدف لبيت جادو أفندى وطاحون فى حارة المظفر لبيت جادو افندى ثم طاحون جديد خلف شبكة تعز [سجن] لبيت الشيخ على المقحفى ثم طاحون آخر فى سائله تعز بجوار بيت نورى لبيت أنور أفندى .

★ ★ ★

أصبح لنا أصدقاء من الجيران . وكنا نلعب معهم فى الشارع حتى توشك الشمس على المغيب فنعود إلى البيت قبل حلول الظلام . فقد كنا نخاف من الدجيراء [جنية] وإذا ذهب عنا الروع منها فهناك العضروط [جنى آخر أسمه العضروط فى تعز وعدار الدار فى صنعاء] ينتظرنا على درجات البيت . ولذلك كان علينا أن نطرق باب البيت بقوة وعنف حتى نطرد الخوف من أنفسنا . وعندما تفتح أمنا الباب كنا نلقى بأجسادنا فى حضنها لنشعر بالأمن والأمان .

وذات يوم ذهبت وأخى منصور مع بعض الاصدقاء إلى العسقلانى وهو طريق خارج سور مدينة تعز لنلعب ونمرح . وهناك شاهدنا آله

عجيبةتتحرك .. وتجرى أخذنا نحملق فيها بعيوننا فى دهشة واقتربنا منها فى خوف وحذر .

ولم تكن واحدة بل كانتا اثنتان إحدهما بيضاء .. والأخرى زرقاء ويقوم بركوبهما أولاد عامل تعز [الحاكم الادارى لتعز] السيد محمد محمد الباشا وأخيه السيد يحيى محمد الباشا ومعها خادمهما ويدعى قسامى وهو يشاركهما ركوب تلك الآلة الغريبة

وسألنا ابناء عامل تعز عن هذه الآلة المدهشة ؟ ! فأجابا : هذه بسكليت [دراجة] للركوب .

وقفنا نتأمل هذه الآلة التى تجرى .. والجرس يدق .. وطال بنا الوقوف حتى غربت الشمس فأسرعنا إلى بيوتنا .. يداعبنا حلم عذب أن يكون لنا مثل هذه الدراجة العجيبة . وأخبرنا أمنا بما رأينا وطلبنا أن تخبر أبى وتطلب منه أن يشترى لنا دراجة . ولم يخيب أبى الرجاء فارسل لنا دراجة صغيرة ـــ للأطفال ـــ بثلاث عجلات ـــ كنت أركبها أنا وأخى منصور فى فناء البيت أو فى إحدى الحجرات وقد شغلتنا الدراجة عن [المعلامة » وعن اللعب فى الشارع أيضاً . فقد أصبحت شغلنا الشاغل .

وجاء أبى فى زيارة قصيرة ، ولاحظ أننا لم نتقدم كثيراً فى دراستنا ، فألحقنا بمدرسة أخرى ، بنيت فى عصر الأتراك وبنى إلى جوارها بناء مشابة لها فى الفن المعمارى وطلى باللون الأبيض من الخارج والداخل . [وتسمى دار الذهب] وكانا المقر الرسمى للادارة التركية ويحيط بالبنائين حديقة واسعة لها بابان . أحدهما منفتح على طريق بجوار الشبكة [سجن فى تعز] والآخر مفتوح على الشارع أمام منزلنا فيما بعد ..

كانت المدرسة مكونة من أربعة أدوار الدول الأول به جنود للحراسة .

والدور الثانى مقامه للرهائن [أبناء المشايخ الذين يؤخذون من أهلهم ويصبحون تحت نظر السلطة لكى تضمن ولائهم لها] وفى هذا الدور توجد غرفة صغيرة يدرس فيها الأولاد صغار السن والدور الثالث مخصص للطلبة الكبار والدور الرابع للادارة ..

أما فناء المدرسة الواسع فقد قسم إلى قسمين قسم حديقة بها أشجار وفواكه والقسم الآخر ملاعب للطلبة وفى هذه الملاعب كان يوجد العقلة [الصيرة] والمتوازين .. كان كل شيء جديدا علينا فهى مدرسة حديثة ..

★ ★ ★

جلس تلاميذ الصف الأول الابتدائى القرفصاء على الأرض التى فرشت بالحصير يستمعون إلى شرح مدرسهم الأستاذ محمد الاسدى .. وأنا وأخى منصور فى ذهول فقد عدنا الى أسلوب التدريس الذى كنا نتعلمه فى صنعاء .. وكان معنا فى الفصل أحد أبناء الأمير السيد على الوزير وهو السيد عباس الوزير رحمه الله وكان يحضر إلى المدرسه وقد امتطى ظهر بغلة بيضاء ، وارتدى كوفية مذهبة . ويصحبه دائما عبد الله طربوش ، وكان موضع اهتمام ورعاية المدرس .

وحدث احتكاك بينى وبين السيد عباس بن على الوزير وتشاجرنا . وسبب الشجار الكوفية المذهبة [غيرة وحرمان] .

وعندما عرف الأستاذ محمد الأسدى [رحمه الله — أو رعاه] بما جرى ، أنزعج وأراد عقابى. فأمرنى بأن أخرج لسانى ومد يده إلى بالمقشطه [سكين صغيرة له حد واحد] وقربها من لسانى ولم أبال . ويبدو أنه أعجب بعدم خوفى واصرارى على موقفى من رفض الاعتذار لابن الأمير . وضربنى بشدة وقسوة وبعث برسالة إلى السيد على الوزير أمير تعز يخبره بما حدث ويقول له إن ولده هو المعتدى.

وجاء السيد على الوزير أمير تعز فى اليوم الثانى بنفسه إلى الفصل ، ووبخ

ابنه المعتدى ، وطلب منه أن يعتذر لى عما حدث منه نحوى . فرفضت وقلت للأمير :

ــ أنا الذى ضربته فهو ليس المعتدى ، بل المعتدى عليه .

كان موقفى هذا من باب الإعتزاز بالنفس وعدم معرفه الأمير لصغر سنى :

أعجب الأمير : وسأل ابن من أنت ؟
قلت : ابن جزيلان

ضحك الأمير وقال موجهاً الكلام لأبنه : هو من أخوالك كلكم أخوه والتفت إلى المدرس وقال له :

ــ ان عليك أن تؤدب أى مخطأ ولو كان ابن الأمير . وانصرف .

كانت هذه المدرسة جديدة على وعلى أخى منصور ، كل شيء منظم ففى كل صباح ينفخ البورزان [صاحب البروجى] فى البروجى ليتجمع الطلبة فى المدرسة وعند حضور جميع الطلبة يقفون كل صباح فى صفوف متراصة عند دخولهم المدرسة وعند خروجهم .

ويرددون النشيد الوطنى :

بلاد العــــرب أوطـــانى	من الشامـــى لبغــداد
ومـــــن نجد إلى يمن	إلى مصر فتطــــــوان
فلاديـــــــن يفرقنـــــا	ولاحـــــــد يباعدنـــــا
لسان الضاد	يجمعنا بقحطـان وعدنـان

كنا نردد كل صباح نشيداً قومياً يعبر عما يختلج فى القلوب من حب

الأوطان والتضحية من أجلها ، والحفاظ على ترابها . ومازالت هذه الأناشيد محفورة فى قلبى وعقلى .. ومن هذه الأناشيد :

بلادى .. بلادى فداك دمى

ونشيد : يارجال العرب هيا

أنقذوا الأوطان

أن هذه الأناشيد التى يرددها الطلبة فى كل بلد عربى ، هى دليل على وحدة الشعوب العربية ، وحدة التاريخ وحدة الكفاح والمصالح المشتركة ، واللغة والثقافة والآمال والآمال . وحدة لاانفصام لها . ومهما حاول الذين يتربصون بكل عود أخضر للأمل ينبت فى أرضنا العربية الطيبة أن يبذر بذور الفرقة ، فلن يستطيعوا وقف مسيرة الوحدة الجارفة . .

ونحن اذا قلبنا صفحات التاريخ . نجد أن العرب إذا توحدت كلمتهم .. وتجمع شملهم ... حققوا كل مايصبون إليه من آمال إنسانية واسعة . وإذا تفرق جمعهم ، وتبعثرت قواهم تمكن منهم عدوهم ، وضاع استقلالهم . فالوحدة هى العاصم لهم من عدوهم وهى الدرع القوى الذى يحمى أوطانهم ويحفظ لهم كيانهم ، ليعيشوا فى أمن وأمان واستقرار ، ويبدعوا حضارة راقية ويسهموا إيجابياً فى تقدم ورقى المجتمع الأنسانى .

★ ★ ★

كانت إدارة المدرسة تتكون من أنور أفندى مديرها والقاضى المجاهد مدرساً والاستاذ الاديب محمد نعمان مدرساً وكان رحمه الله مشهوراً بقوة شخصيته بين الطلبة . والسيد محمد أبو طالب مدرساً والأستاذ الأسدى مدرساً وعدد آخر من المدرسين ..

أمر الأمير السيد علي الوزير أن يرتدى جميع الطلبة زياً مدرسياً موحداً على نفقة الدولة .

وكان الزى الجديد يتكون من مشدة [عمامة] وجاكيت ، وقميص كاكى وحذاء من الكاوتش .

وكان هناك فريق رياضى للعقلة والمتوازيين
أذكر منهم محمد على سرى وهو الآن دكتور فى تعز و[illegible]ى على المقحفى وكامل أبن سرى شائع وغيرهم .

وترددت أنباء عن زيارة ولى العهد أحمد لمدينة تعز . ومغادرة الأمير السيد على الوزير للمدينة .

ولم نعرف السبب لزيارة ولى العهد أو لمغادرة الأمير المدينة .

رفعت الأعلام على دور الحكومة ومنازل الأهالى ، وأقيمت الزينات على طول الطريق الذى سيمر فيه ولى العهد .
وأقيم سرادق ضخم فى العرضى حيث سينزل الضيف الكبير .

وأمر الأمير السيد على الوزير بأن يصطف رجال الجيش والشعب والطلبة على جانبى الطريق لتحية ولى العهد .

وذهبنا إلى قبة المنصور ووقفنا نحن الطلبة فى انتظار قدوم ولى العهد ، وطال انتظارنا حتى دب التعب فى أجسادنا الصغيرة . أما باقى الجمع من الشعب والجيش فقد ظهر التعب والضجر على وجوههم ..

واخيراً .. جاء موكب ولى العهد أحمد « باجنة » كما كان يسميه حرسه وحاشيته .

كان يركب سيارة رفع على مقدمها العلم اليمنى . والعكفة [الحرس الخاص] يسيرون على جانبى السيارة ، وأحد العبيد يركب على رفرف السيارة وقد أمسك بيده سيفاً مذهباً ، ويحمل على كتفه بندقية .

ونحرت الذبائح أمام الموكب .

وبعد أسابيع غادر الأمير السيد على الوزير تعز وبرفقته أسرته .
نمى إلى علم ولى العهد أحمد بأن أهالى تعز يحوزون صناديق الطرب [فونوغراف] فأمر العكفة [الحرس الخاص] باقتحام البيوت . ومصادرة هذه الصناديق لأنها كما تصور سبب الفساد .. وهدد بهدم كل بيت يخفى شيئاً من الصناديق أو الصحون [الاسطوانات] وفعلًا هدمت بعض البيوت ... وجمع الحرس كمية كبيرة من الصناديق والصحون فقد كانت الوسيلة الوحيدة لتسلية أهالى تعز .. ووضعت فى ميدان تعز حيث قام ولى العهد أحمد بنفسه بأضرام النيران فيها أمام الناس .. كان الهدف من هذا التصرف زرع الخوف فى نفوس أهل تعز وأظهار قوته كنوع من الحرب النفسية .. لاثبات جبروته .. !

كان ولى العهد أحمد يؤمن بأن الأمة الجاهلة أسلس قياداً من الأمة المتعلمة . فأمر بأغلاق مدرسة الحجرية ــ الزيه ــ ومدرسة تعز وحولها الى بيت خاص للقاضى حسين الحلالى عامل الحجرية الذى أعجب به أحمد وعينه مستشاراً له .

كما أمر بتوزيع الرهائن جزء فى قلعة القاهرة تحت اشراف المحجاتى [رجل من قبيلة حاشد] وجزء أخر ظل بجوار سجن تعز المسماه بالشبكه

عدت وأخى منصور للدراسة فى المعلامة [الكتاتيب] من جديد . لكننى لم أستفد كثيراً ، فقد كنا ندرس فى المدرسة بالطريقة الصنعانية فى حين أن المعلامة [الكتاب] كانت تدرس بالطريقة التعزية . كما كانت تتعمد إطالة أمد التعليم حتى لايتخرج الطلبة سريعاً وتبقى « المعلامة » بلا طلبة . فقد كان

عددهم(قليلا). لعدة أسباب منها الفقر الشديد الذى كان يعانى منه معظم أهل تعز ، وانتشار مرض الملاريا . الذى كان يفتك بالأطفال فتكاً ذريعاً ، وسوء التغذية الذى يحولهم إلى أشباح متحركة كان نسبة من ينجو من مرض الملاريا وغيرها حوالى ١١ ٪ أو أقل أما الباقون فنصيبهم القبور المفتوحة دائماً . ولم يكن فى تعز مستشفيات أو أطباء يقدمون الرعاية الصحية للناس .

كان هناك طبيب واحد ايطالى الجنسيه أسمه **Tiflon** تفلون ومترجم ليبى أسمه محمود هذا الطبيب كان يتولى علاج رجال الجيش ولواء تعز وأب وغيرهما

وكان هناك طبيب هندى أسمه السيد الجيلانى يقوم بالاسعافات الأولية ولكن فى مستشفى الجيش ..

وكان علاج الملاريا قد اكتشف فى سائل معبأ فى زجاجات كبيرة يسمى « مستريشلى » مر المذاق ولايحصل عليه إلا الأثرياء ..

كان الاطباء المحليون يجيدون الكى بالنار . وعندما يفحصون المريض ويشخصون المرض يقولون للمريض : لقد أصبت بفجعة [الخوف] وعلاجه هو الكى بالنار [المبسم] فى وسط الرأس أو فى أعلى البطن أو فى الجبهه حسب عبقرية الطبيب .

وقد يصحب الكى جرح . وإذا كان الجرح غائراً يكون الشفاء قريباً فى رأى الطبيب . وكان هناك العلاج بالأعشاب ايضاً .. مثل السناء والحمر [أوراق مع التمر هندى]

★ ★ ★

كان لواء تعز كثير الأمطار وكانت السلع متواجدة بكثرة وهى السلع الضرورية مثل السكر ، والصابون والغاز ، والأقمشة وقد خصص أمير تعز السابق

السيد على الوزير سيارة نقل كبيرة يقودها السائق عبد الله المفطرى ثم سيارة أخرى يقودها صالح الزريقى ...

وقد لايصدق أبناء هذا الجيل أن عدد السائقين فى اليمن لم يكن يتعدى أصابع اليد ففى تعز كانت هناك مجموعة من السائقين وهم عبد الله المفطرى وصالح الزريقى وكانا يعملان لدى أمير تعز السيد على الوزير ويقومان بنقل السلع الضرورية من ميناء المخا الى تعز .

كما كان يوجد عدد آخر من السائقين هم السائق أحمد على وأحمد على ماديه وعبد الله الرصالى وعبد الرحمن القاضى وعبد الرحمن الأسيد ، يحيى صالح حراب ، والحلالى فى لواء تعز .

عندما تولى ولى العهد أحمد حميد الدين حكم لواء تعز ، كان عهده حافلًا بالأزمات الاقتصادية قلت المعروضات فى الأسواق من السلع الضرورية مثل السكر . والصابون والأقمشة

ساق الناس ذرعاً بحكم ولى العهد أحمد ، وقد شاءت الطبيعة ان تشارك الناس استياءهم فامتنع المطر ، رغم ماهو معروف عن لواء تعز وأب من كثرة الامطار فمات الزرع . وقل دخل الرعية [الفلاحون] مما أثر على دخل بيت المال من الزكاة .

وزاد الطين بله ، أن ولى العهد أصدر أمراً الى المأمور بتحصيل حقوق بيت المال من الرعية [الفلاحين] بالقوة . فكان المأمور يصحب معه جنوداً لتخطيط [أى يقيم الجندى فى بيت الفلاح إقامة كاملة ، ولايبرحه إلا بأمر السلطة الحاكمة ولم يكتف ولى العهد بهذا التصرف الجائر .. بل طلب عانه [اى أن ترسل كل قريه مجموعة من الفلاحين للعمل مع السلطة فى شق طريق او غيره مجاناً اى مايسمى بالسخرة] من لواء تعز بحجة بناء مدرسة جديدة ، وشق طريق من العرضى الى مستشفى تعز .

كان ولى العهد أحمد يحضر مجالس القات ، أثناء تناول القات [شجرة تؤكل أوراقها الخضراء عن طريق المضغ والتخزين ...]

ويطلق الثعابين والحيات من جراب معه [بعد نزع أنيابها] فيحدث هرج ومرج بين حاشيته ويستغرق هو فى الضحك .

وكان ولى العهد أحمد مغرماً بجمع الثعابين والحيات السامة ويقوم بنفسه بالامساك بها ، بين الأشجار أو تحت الأحجار أثناء شق الطريق .. ولذلك كان يحضر بنفسه مع الرعيه [الفلاحين] والجيش أثناء شق الطرق للبحث عن الثعابين والحيات وقتل الوقت ...

وكان فى أول أمره فى تعز يواجه [يجلس أمام قصره ويحيط به حرسه .:] كل يوم للنظر فى شكاوى الرعية . ولكن لخوف الناس منه والأشاعات التى كان يطلقها حول نفسه كان قلة من الرعية يذهبون إلى تلك المواجهة . ليشكوا من ظلم الحكام .. بعد أن يطفح الكيل بهم .

وكان يطمع فيمابأيدى الناس من أشياء ثمينة ، كان يريد أن يستحوذ على كل شيء .. فلنسان حاله يقول : أنا وبعدى . الطوفان .

أستولى على بيت المجاهد ، وهو بيت كبير ، يتميز عن بيوت تعز بنوافذه العريضة ، ومشربياته الجميلة ، واعطى المجاهد قليلاً من الدراهم وبيتاً صغيراً من بيوت بيت المال . [أموال الدولة]

راحت مجموعة من الطلبة تقلد ولى العهد أحمد وحاشيته . فطالب يمثل دور ولى العهد أحمد ورفاقه يمثلون الخيالة .. والهجانة ، يركبون على أعواد قصب الذرة والحرس الخاص [العكفة] يتخذون من العصى بنادق والبورزان [البروجى] رأس دورق فخارى مكسور .. [كوز] وتبدأ المسيرة .. ونحن نردد الزامل [أهازيج] الذى صاغ كلماته أحد الطلبة

يقول : نسألك بالله تحفظ سيف الكيازر [أم الطالب]

لاغزاء شل المنازل [المنازل مسجد خارج باب الكبير] شلها شلت عصفور

نسألك بالله تعينه لاتهينه .

كنا نتعمد أن نسير أمام موكب ولى العهد أحمد عند ذهابه الى الدورة [النزهة] أو عودته منها .

ولم نكن نعرف أن هذا العمل يسبب له أزعاجاً أو يثير غضبه بل كنا نعتقد عكس ذلك تماماً .

ولكنه بعد أن سمعنا نردد الزامل أمر أمير مركز تعز [مدير الشرطة] السيد الحيفى بإلقاء القبض على كل من يقلد موكبه والزج به فى سجن الشبكة .

فت فى عضدنا هذا التهديد . فأصبحنا نقلد موكب ولى العهد فى الحارة حتى صدر أمر يمنعنا من القيام بهذا العمل حتى ولو كان فى الحارة .

بدأنا نلعب بالكرة الشراب ، أو نصطاد الطيور ، أو نصعد على الأشجار ونقطف ثمار الفاكهه . كان القاضى حسين الحلالى رحمه الله مستشار ولى العهد أحمد وكان يرانى ومعى الزملاء أمين غالب عبيد وعلى محمد عثمان وقايد محمد لطف وعبد الله حيدره وعلى محمد عبده وأحمد محمد الشيخ ونحن نتجول حول سور بستان بيته ، [الذى كان مدرستنا] فاذا لمحنا ثمار البابار [عنب الشام] قد نضجت تسلقنا السور والشجرة ، وقطفنا الثمرة ، وهو رحمه الله يطل من النافذة ويستغرق فى الضحك على تصرفنا واقدامنا ...

كنت أتغيب كثيراً عن المعلامة ، [الكتاب] فقد أستهوانى لعب الكرة . فأهملت دروسى ، بعكس أخى منصور الذى كان يواظب على الذهاب الى

المعلامة واستذكار دروسه . وقد لفت أبي نظرى إلى هذا الأهمال الذى سيؤثر على مستقبلى ، فوعدته أن أجد وأجتهد لأكون من أوائل الطلبة . فبدأ يقوم بتدريس المواد لى بنفسه .. بعد صلاة العشاء .. فتقدمت فى دراستى بسرعة مذهلة ..

وبعد فترة صحبنى أبى إلى مدرسة الأشرافية ، وأخبر مديرها أنور أفندى أنى قد حفظت القرآن الكريم فلم يصدق المدير مايسمع فجمع المدرسين وطلب منى أن أقرأ ماأحفظ ، فتلوت آيات من الذكر الحكيم من المصحف الشريف .

فقال المدير : أنا لاأصدق ماأسمع .. وكانت الفرحة ظاهرة على وجهه ..

فقال لى أبى : أنا سعيد لأنك وفيت بعهدك معى .
قلت : سترى منى ياأبى مايسعدك دائما
قال أبى . أرجو لك التوفيق والسداد .

إلا أن لعب الكرة قد شدنى اليه . وتجمعت مع زملائى لننظم اللعب وأنقسمنا الى مجموعتين لنلعب بالكرة الشراب

وكم كانت فرحتنا عندما نعلم أن مستر سيجر [وهو ضابط مخابرات بريطانى] أو مستر ريلى قد وصل الى تعز قادماً من مستعمرة عدن وكان يأتى إلى تعز حسب الحاجه ! ! وكان ينزل فى دار عامل تعز محمد الباشا فى دار الميدان ويأتون فى سيارة نقل كبيرة وكانا فى بعض الأوقات يأتون معاً مستر سيجر ومستر ريلى ومعها مرافقين وطابه [كرة قدم] كنا نركب سيارة النقل ونذهب معهم الى منطقة الجند نلعب بالطابه [كرة القدم] وكنا لانستطيع أن نلعب بها لصغر سننا .. وصعوبة ركلها ..

★ ★ ★

كنت وأخى منصور نذاكر معاً ، الا أن أخى منصور لم يقدر له أن يواصل دراسته ، فقد اختطفه الموت وهو فى عمر الزهور .

عاد أخى إلى المنزل بعد أن صلى العصر فى المسجد الذى أمامنا .

وقال لأمى : سأصلى معك المغرب والعشاء هذا اليوم فقط ..

لم تعر أمى هذه الكلمات اهتماماً . وبعد الصلاة دعتنا أمى لتناول طعام العشاء فأعتذر أخى منصور بحجة أنه شبعان فألح عليه أبى أن يأكل على قدر مايستطيع فقال أخى منصور : أنا لاأريد الطعام وسأموت غداً ! !

أنزعج أبى من هذا الكلام ، ونهر أخى وصرخ فى وجهه أن يقوم ليأكل معنا .

وأقسم أخى منصور أنه سيموت غداً .

خيم على الغرفة صمت عميق ... وتناولنا الطعام فى جو كئيب سيطر على مشاعرنا جميعاً .

وفى الصباح غادر أبى البيت كعادته إلى مقر عمله ..

وقال أخى منصور لأمى :

ــ إنى سأسبقك إلى الجنة فلا تبكى ولاتحزنى . ! !

جلست إلى جوار أخى وأنا حزين . وألقيت نظرة على وجهه الذى بدا شاحباً والعرق يسيل على جبينه وقال فى صوت ضعيف : أريد أن أرى أبى :

وعاد أبى .. ووقف الى جانب فراش أخى منصور الذى ابتسم ابتسامة

باهتة ونطق بالشهادتين ..

ثم صعدت روحه الى السماء ؟ ! !
وكان هذا اليوم آخر يوم في شهر شعبان .

وبكى أبى .. وقالت أمى :
ـــ هذا أمر الله . ولكل أجل كتاب . وقد سبقنى إلى الجنة . وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .

ودفن أخى منصور .. توأم روحى فى منطقة الأوجبتات فى تعز بقرب قبر جدى ناجى حمود جزيلان .

فى هذه الظروف القاسية التى كانت تمر بها أسرتى ، سافر أبى إلى مقر عمله فى المخاء . فازداد البيت وحشة بعد سفره .

استغرقت أمى فى العبادة ، فكانت تصلى كثيراً وتصوم كثيراً ، وتتهجد بالليل وكانت تتصدق بخبز القمح ـــ غالى الثمن ـــ ونأكل نحن خبز الشعير والذرة .

وتقول : إن الله يأمرنا أن نتصدق بأفضل مالدينا . وأن السيدة فاطمة الزهراء كانت تعطر الدرهم قبل أن تتصدق به وتقول أنى أضعه فى يد الله جل شأنه .

ومرضت أمى مرضاً شديداً . فدعانى القاضى حسين الحلال مستشار ولى العهد أحمد وكان القاضى حسين الحلالى رحمه الله جارنا فذهبت الى بيته ، وتحدث إلى حديث الوالد الحنون .

وسألنى عما إذا كنت أريد شيئا ؟ فطلبت منه أن يكتب لوالدى فى المخاء يخبره بما آل اليه أمرنا ..

وكان الرجل كريماً ، فكان يرسل لنا الطعام كل يوم . وكانت أمي ترفض تناول الطعام وتقول أنه من الحكام الظالمين فقد أصابها مرض بعد موت ولدها منصور

وعرض القاضي حسين الحلالي مشكلتنا على ولي العهد الذي دعاني وسألني عن حالة أمي . فأخبرته بما حدث وبما تقول من أن الظلم قد أحدق باليمن كالسوار بالمعصم وأن ابنها سيعود ليحق الحق ويزهق الباطل .. وكان جميع الجيران يسمعونها وهي تقول هذا القول .

أعطاني ولي العهد أحمد طبقاً من الصيني قد حليت أطرافه بزخرفة مذهبة . وقد كتبت في وسطه وأطرافه آية الكرسي وقل هو الله أحد . ورسم بالحبر الأسود على أطراف الطبق سيف ذي الفقار [سيف الأمام علي بن أبي طالب] وبعض الطلاسم وطلب مني أن أضع قليلا من الماء في الطبق وتشربه أمي . وقال :ـــ إن هذا هو الدواء الناجع لما ألم بها .

صنعت ماأمرني به ولي العهد أحمد وأنا في غايه السعادة فهو الدواء الناجع . وقدمت الطبق لأمي لتشرب مابه من الماء ، فرفضت في بادىء الأمر ، ولكنها أمام اصراري وبكائي مدت يدها المرتعشة وأمسكت بالطبق ورفعته إلى فمها وشربت الماء وهي تقول : من أجلك ياولدي أشرب علاج الظالمين .

أشتد المرض على أمي . فطلب ولي العهد أحمد أن تشرب من الدواء مرة أخرى . وماكدت أمد يدي بالطبق المملوء بالماء والطلاسم حتى جذبته أمي بشدة .. والقت به على الأرض فانكسر ... فحزنت حزناً عميقاً فقد كنت أظن أن في هذا الماء وطلاسمه الشفاء .

وبعد أيام وصل أبي من المخاء ، وقد زادت حالة أمي سوءا ، ولم تلبث إلا أياماً معدودة وماتت ودفنت بجانب أخي منصور وجدي ناجي حمود جزيلان في مقبرة الأجنبات .

وشعرت بالوحدة القاتلة ، واشتقت لأخى منصور وأمى الحنون فركبت حصاناً واندفعت كالسهم نحو المقابر . ووقفت أمام مقبرة أخى وأمى وجدى وبكيت فى حرقة ورحت أنادى عليهم .. وقد تصورت أنهم جميعاً يسمعون ندائى .. وغابت الشمس وراء الأفق . ولف المكان صمت رهيب زاد من وحشة الليل الذى أرخى ستائره .. فأصابتنى رعدة الخوف ، وامتطيت صهوة الحصان وعدت إلى البيت .

ابتدرنى أبى قائلًا فى غضب : أين كنت ؟

أجبت : كنت أزور قبر أخى ، وأمى ، وجدى . وقد إشتقت لرؤية أخى .

تأثر أبى ، وقال : يابنى إن الموتى لايعودون إلى الحياة الدنيا .

لقد ترك رحيل أخى فى قلبى جرحاً لايندمل ، ولذلك أصبحت حريصاً على التمسك بكل صديق مهما كانت مثالبه خوفاً من فقده كما فقدت أخى منصور من قبل .

* * *

استقر المقام بأبى فى تعز أمير للمغرزة — قائد المنطقة — وانتظمت فى مدرسة الأشرفية . وادارتها نفس ادارة مدرسة [دار الذهب] التى أخرجنا منها لتصبح بيتاً للقاضى حسين الحلالى مستشار ولى العهد أحمد . كان الأستاذ حيدره يشرح لنا الدروس بطريقة جديدة وجذابة وأسلوب مبتكر حبب إلينا العلم والاستذكار . وبدأ يروى لنا قصة الفارس العربى عنترة بن شداد . وكانت أحداث القصة مشوقة تثير الخيال ، وتستحوذ على الاهتمام . وكنا نترقب بفارغ الصبر حصة الأستاذ حيدره ليتابع قصة أبو الفوارس — عنتر — .

وكنا حين نسمع صوت البورزان [البروجى] يعلن قدوم ولى العهد أحمد

لزيارة المدرسة نحاول الخروج من الفصل لمعرفة وجهته ، والفرجة على موكبه ، فينهرنا الأستاذ حيدره ويقول :

ــ لماذا تريدون الخروج .. ؟ إنه تيس [جدى] مثلكم ! !

كنا نعجب بشجاعة أستاذنا لوصفه ولى العهد أحمد [ياجنة] بهذا الوصف ، وهو الذى يروج الاشاعات عن نفسه بأن الجن فى خدمته تخبره بكل مايجرى فى اليمن ! !

كان الأستاذ محمد حيدره يستهدف بث الشجاعة فى نفوسنا . ومن هنا يبرز أهمية الدور الذى يمكن أن يلعبه المدرس فى تنشئة الأجيال .

أن مهمة المدرس ليست حشد المعلومات وحشر القضايا فى العقول الصغيرة بالتلقين المجرد المكرر كما تعلب المصانع السردين بعد أن عزلته عن الحياة فى عرض البحر . بل مهمة المدرسة أن تتفتح على الحياة وتصل النظر بالتفكير والنظرية بالتطبيق ، تعرف بهجة الكشف وصفاء المنبع وخبرة التجريب .

* * *

وفد الأستاذ أحمد نعمان والقاضى محمد الزبيرى إلى تعز التى أصبحت منطقة جذب ، لوجود ولى العهد أحمد بها .

وقد عين الأستاذ أحمد نعمان مديراً للمعارف كما ــ أظن ــ والقاضى محمد الزبيرى مساعداً له .

بدأ نجم الأستاذ نعمان يلمع فى سماء تعز ، فقد كان يمثل الجديد فى علمه وثيابه التى سميت بالملابس العصرية وقد قلده كثير من الناس فى ارتداء هذه الملابس .. وكان بيته مزاراً يذهب اليه الناس للإستفادة من علمه الغزير .

عين ولى العهد أحمد الأستاذ الثمرى مدرساً فى مدرسة الأشرفية ، كان رحمه الله سريع الإنفعال وذات يوم ضرب عبد الله حيدره شقيق أستاذنا حيدره وزميلنا ، فصممنا على الانتقام منه ، بأن يجلس خلفه أحد الطلبه ويتولى كل من عبد الله حيدره أو أمين غالب عبيد دفعه ال الخلف فيقع على ظهره وفى هذه اللحظة نستولى على المسدس الذى يحمله دائماً فى جيبه ثم نهوى عليه جميعاً بالضرب . قمت بدورى ولكن الآخرين نكصوا عن القيام بدورهم . وعرف الاستاذ أحمد الثمرى ماندبره ضده فاعتذرت إليه وزعمت أن شوكة قد انغرست فى قدمى حين رآنى راكعاً . لكنه لم يصدق وبدأ يأخذ حذره منا .

ويبدو أنه اشتكى لولى العهد أحمد وأتهم الاستاذ حيدره بتحريض الطلبه عليه ، وأكد زعمه بأنه كان يعارض تعيينه مدرساً بالمدرسة وبعد عدة أيام عاودنا التفكير فى تنفيذ خطتنا للانتقام منه ، وأقسم الزملاء على تنفيذ الأدوار المطلوبة منهم .

تسللت خلف الأستاذ أحمد الثمرى وركعت على قدمى وقام عبد الله حيدره وبعض الزملاء بدفعه بقوة فوقع وهجموا عليه وأخذنا منه المسدس وانهال عليه الطلبة بالضرب . ذهب الأستاذ الثمرى إلى ولى العهد أحمد يشكو إليه ماحدث . وفى اليوم الثانى بينما كنت أقف فى الردهة رأيت العكفة [الحرس الخاص لولى العهد] يسيرون فى اتجاه المدرسة . فأسرعت إلى الزملاء أخبرهم بالنبأ وانطلقت هارباً من الباب الخلفى لمسجد الأشرفية وصعدت سفح جبل القاهرة لمشاهدة مايحدث . وصدق ظنى فقد ألقى العكفة القبض على الطلبة وساقوهم إلى سجن الشبكة . وفى المساء صعدت إلى سطح منزلنا القريب من السجن فسمعت الطلبة يرددون الأناشيد الوطنية .

استاء الناس من سجن طلبة صغار السن .. وخشى ولى العهد أحمد أن يتحول هذا الاستياء الى تذمر ... وثورة .. وتدخلت بعض الشخصيات الكبيرة كالقاضى حسين الحلالى وعامل تعز محمد الباشا والأستاذ أحمد نعمان والقاضى محمد الزبيرى وغيرهم . فأمر بأطلاق سراح الطلبة .

لم يواصل الاستاذ أحمد الثمرى عمله فى المدرسة بعد ذلك وبعد فترة من الزمن أصيب بمرض الملاريا وتوفى إلى رحمة الله

* * *

كان الأستاذ محمد حيدره يدربنا على التمثيل والقاء الأناشيد والخطب خاصة فى أيام الأعياد . فقد كان اليوم الأول من كل عيد مخصصا للصلاة والتهنئة بالعيد ، وفى اليوم الثانى يحتفل الجيش والطلبة والأهالى بالعيد فى ميدان العرضى . [ثكنات الجيش] . وكان لرهائن القاهرة باع طويل وشهرة واسعة فى الخطابة والأناشيد الوطنية ، فقد استطاع المرحوم الأستاذ قاسم غالب المسجون فى قلعة القاهرة فى ذلك الوقت بأن يحقق نجاحاً باهراً فى تعليم وتدريب الرهائن الذين كان منهم السيد محمد هاشم عياد وشقيقه السيد عبد الله هاشم عياد وعبد القوى حاميم وهزاع البدوى . وقاسم بجاش وغيرهم من الرهائن — على الخطابة رغم الظروف الصعبة التى كان يعيش فيها .

وكان أحمد محمد الشيخ وأنا نزوره وهو مسجون فى قلعة القاهرة . وكنا نجده دائم الابتسام وحوله الرهائن يعلمهم القرآن والدين والتاريخ .. والقيود فى رجليه ... رحمه الله قاسم غالب .

كان ولى العهد أحمد يتخذ مقعده تحت التولفه [شجرة تشبه شجرة الجميز] فى ميدان تعز ومن حوله رجال الحاشية . ويقوم الطلبة بتمثيل المسرحيات والقاء الأناشيد الوطنية بمصاحبة الموسيقى النحاسية . ويلقى بعض الشعراء أشعارهم والخطباء خطبهم ..

وكان من أجسن الأناشيد ، هذا النشيد الذى صاغ كلماته السيد مطهر الغرباتى مدرس الدين . وكانت له مواقف وطنية مشهورة سجن بسببها وفر الى عدن وكان يلحن الأناشيد المسنن [طبيب أسنان] وهو رجل تركى رحمة الله

من أبيات النشيد :

أنا أمى أرضعتنى للوطن أعدتنى سلمتنى
هذا العلـــم للآله أودعتنـــــى
ثم قالت لى إجتهد فى خدمتك للوطن
أن لم تقهر العدو يحرم عليك لبنى

وعرض الطلبة مسرحية داحس والغبراء وقمت أنا بأداء دور الغبراء لأنى أجيد ركوب الخيل رئيس الخيالة النقيب شبعان وقاسم يمثل شخصيه داحس .

وغنى على محمد الحاج المحلوى رحمه الله بصوته الشجى العذب حكاية داحس والغبراء :

لا كانت الغبراء ولا كانت داحساً
ولا كان يوم أرسلت برهـــانى
فواللـــه لازالت عيـــونى فريحه
إلى أن يصير البحر أحمر قانى

كما قمنا بتمثيل مسرحية « أولياء الله » وهى تكشف الدجل واستغلال أدعياء الدين للجهلة والبسطاء .

وغنى عبد الكريم المجاهد بصوت جميل أغنية تقول كلماتها :

كلمـــا دق الهواء البــــاب قلت دا المحبـــوب جانى
الهواء والبــــــــاب كذاب مايريــــــد إلا إمتحـــــانى
مالمحبــــــــوبى جفـــــــائى أتخذ غيرى وبــــــــدل
من عليه منكم تحيل .

★ ★ ★

في المدرسة الأحمدية ، كان الأستاذ عبد العزيز عطا يدرس لنا النحو بأسلوب عقيم يستعصى علينا فهمه ، وكان يلقى الدرس وهو يمضغ القات ، وأصابعه تداعب شعر ذقنه . كان على محمد عبده وعبد الرءوف رافع ـ رحمهما الله ـ هما الوحيدان اللذان يفهمان مايلقى علينا من دروس النحو ، وقد حاولنا الإستفادة من علمهما ولكنهما رفضا ذلك .

وكان الأستاذ عبد الله عبد الوهاب نعمان رحمه الله يدرس لنا القراءة والخط والشعر ..

وكان يتمثل دائما ببيت من الشعر يقول :

هى الأخلاق تنبت كالنبات
إذا سقيت بماء المكرمات

كنا نحب أسلوبه فى التدريس وطريقة معاملته لنا فقد كان بشوش الوجه لين العريكة هادىء الطبع ..

* * *

اندلعت الحرب العالمية الثانية ، وأغلق البحر الأحمر فى وجه الملاحة الدولية ، وارتفعت الأسعار ..

وكان ولى العهد أحمد فد فرض ضريبة جديدة على الفلاحين [اسمها الخيرية] فرض على كل ريال بقشة عندما يدخل الفلاحون المدينة ومعهم بعض السلع المحلية ..

وكان المحصلون يتخذون مقرهم عند بواب مدينة تعز برغم أن الفلاحين قد سددوا الضريبة عن جميع محاصيلهم ، وهى مازالت قائمة فى الأرض .

ضج الناس من شدة الغلاء وخاصة أسعار السلع الضرورية المستوردة كالكبريت ، والصابون ، والسكر والغاز [الكيروسين] والأقمشة . ولأول مرة يأمر ولى العهد أحمد بتوزيع هذه السلع على المستهلكين بأوراق حسب عدد أفراد كل أسرة . وعهد بهذه المهمة إلى السيد عبد الوهاب شيبان للإشراف على عملية التوزيع .

انقسم الناس الفاهمون ومأأقلهم إلى فريقين : فريق يؤيد المانيا وايطاليا واليابان وفريق آخر يؤيد بريطانيا وفرنسا وأمريكا وروسيا . وكان أبى وبعض رفاقه يناصرون المانيا ، فى حين كان صديقهم التاجر محمد الحاج المحلوى ورفاقه يناصرون بريطانيا .

وكان الفريقان يجتمعان أثناء تناول القات لمناقشة سير المعارك الحربية ، ويحاول كل فريق ابراز انتصار الدول التى يناصرها وكانوا يتتبعون الأخبار من المذياع الذى يملكه عامل تعز السيد محمد الباشا أو القاضى حسين الحلالى أو السيد عبد الجلي باشا عامل المخاء .

فى هذه الفترة كان الشعب اليمنى يخوض حرباً من نوع جديد الحرب مع لقمة العيش ، فقد أمتنع سقوط الأمطار فى تعز وكل اليمن وكانت أب الخضراء تحت حكم سيف الإسلام الحسن . وقد حدث خلاف بين ولى العهد أحمد وشقيقه الحسن حول منطقة « العدين » لخصوبة تربتها وكثافة سكانها وكان كل واحد منهما يريد أن يضمها إلى سلطانه وانتصر الحسن وضمها إلى لواء أب .

* * *

جاء عدد من الألمان إلى اليمن ، وتم التحفظ عليهم فى منزل القاضى حسين الحلالى الذى تركه وسكن فى حوض الملك الأشرف ــ حرمنا من المدرسة لكى تصبح شبه سجن ــ وكنت وزملائى الطلبة نعجب من ملابسهم النظيفة ،

وصحتهم الجيدة ، وحيويتهم الدافقة .

كانت الرسائل والكتب والصحف والمجلات ، وأدوات التسلية والترفيه تصل إليهم من المانيا عن طريق عدن .

وسألت أبى كيف تصل إليهم هذه الاشياء من بلادهم والبحر الأحمر مغلق فى وجه الملاحة ؟

لم يجب أبى .. لأنه لم يستطع تفسير ذلك .

وذات يوم سمعت حوارا ظريفا شائقاً بين عامل تعز [المحافظ] السيد محمد الباشا رحمه الله وبين الجندى محمد أحمد المخصص لأبى .. كان الألمان يقتنون كلباً صغيراً ، ولما ضاقوا ذرعاً بنباحه المستمر أطلقوا سراحه ، فوقف أمام منزلنا جائعاً يلهث من العطش فأشفق عليه الجندى محمد أحمد رحمه الله وقدم اليه كدمة [عيش يشبه الفطير الجاف يتكون من مجموعة كبيرة من الحبوب والزاب ..] وبللها بالمرق فأكلها الكلب .

وفى اليوم الثانى قدم الجندى محمد أحمد الكدمة للكلب ، فشمها ، وهز رأسه وذيله وأنصرف عنها ..

تعجب الجندى محمد أحمد لتصرف الكلب . وتصادف أن مر فى ذلك الوقت عامل تعز السيد محمد الباشا فى طريقه الى منزله راكباً بغلة .

فقال الجندى محمد أحمد :

ـــ أسألك بالله ياسيدى محمد توقف .

وقف عامل تعز وسأل الجندى : ماذا تريد ؟ !

أجاب الجندى :

أنا فى خدمة الأمام منذ عشر سنوات وطوال هذه الفترة الطويلة آكل هذه الكدمة الجافة ليس معها سبخ [الخضر والمرق] وأنا صابر لاأشكو ، لكن هذا الكلب الصغير قدمت له بالأمس كدمة مبللة بالمرق فأكلها واليوم كما ترى رفض أن يأكل ماآكله أنا الإنسان الذى كرمه رب العالمين .

قال عامل تعز : أسكت يامحمد أحمد حتى لايسمعك أحد فيحدث لك مالا تحمد عقباه ، وتركه وانصرف وهو يضحك ..
كانت المصائب تتوالى على شعب اليمن الصابر الصامد . الأوبئة تفتك بالآلاف .
فيقول الحكام : أنها رحمة من الله !! المجاعه تحدق بالناس فيقولون : أنها منحة من السماء ! !

كان أبناء الشعب يتسلقون الجبال بحثاً عن ورقه عشب [الحلص] ويجمعون روث البهائم بحثاً عن بقايا الحبوب يسدون بها رمقهم .

فى هذا الوقت الذى كان فيه الشعب اليمنى يعانى من الأزمات الطاحنة قال ولى العهد أحمد لأمير البغال عبد الله دوس رحمه الله :

ـــ أن حصانى الرعد بدا عليه الضعف والهزال لماذا لاتقدم اليه حسيك [حبوب الشعير] بوفرة . ! !

وذات يوم .. رأيت شيخاً عجوزاً يقف خلف جمل من هجانة ولى العهد أحمد ليبحث عن الروث المتساقط من الجمل . عله يجد شيئاً من الحبوب .. وبينما الشيخ المسكين قد انحنى على الروث يجمعه ركله الجمل فى بطنه ركلة شديدة ، فارتفع الرجل فى الهواء ثم هوى إلى الأرض وقد فارق الحياة .. صعدت روحه الى السماء . تشكو إلى الله جل شأنه ظلم الأنسان لأخيه الانسان ..

وأذكر أنني كنت مع زميلي على محمد عثمان — ابن أحد الضباط — عند باب موسى نشترى حطبا ، فرأيت شاباً نائماً على الأرض يتلوى من الجوع .

فأسرعت واشتريت كدمة ، وقدمتها له . وحاول أن يمد يده ليأخذها ، ولكن ذراعه لم تقوى على التحرك . وتراخت عضلاته ، وشهق .. ومات .

فى هذه الظروف القاسية كان ولى العهد أحمد وأخوته سيوف الأسلام وشركاؤهم من التجار المعروفين يقومون بتصدير الحبوب والدجرة [اللوبيا] الى ميناء عصب وجيبوتى ..

وقد صادر الإنجليز سبع سفن شراعية وماعليها من الحبوب ، وأحتج ولى العهد أحمد على المصادرة فكان رد الحاكم الإنجليزى فى عدن : أنها مصدرة للأعداء ونحن فى حالة حرب معهم [ايطاليا ..] وفى نفس الوقت كان كل من ولى العهد أحمد وأخيه سيف الأسلام الحسن يقوم بتخزين الزائد عن التصدير من الحبوب فى مدافن تحت الارض [حفر عميقة لتخزين الحبوب]

وعند فتح المدافن لإخراج الحبوب تكون قد فسدت فيأمر سيوف الاسلام بأستخدامها كسماد للأرض . ! !

وفى وسط هذا الظلام الدامس ، كان هناك شعاع من النور يبدد بعض هذه الظلمات المتراكبة بعضها فوق بعض . فقد قام عدد من المواطنين الصالحين القادرين بتقديم يد العون إلى أخوانهم . أذكر منهم التاجر الحاج محمد المحلى ، والتاجر أحمد الشيخ الحروى وغيرهما فقد كانا يقدمان الخبز الى المحتاجين . وإرسال بعض المال إلى بيوت يعرفونها .. وهذا هو التكافل الاجتماعى الذى حض عليه الأسلام .

لقد مرت سنة المجاعة بعد أن أبادت عشرات الألوف من أبناء اليمن وأطلق عليها الحكام سنة الرحمة . ولم يصب أحد من الحكام بهذه الرحمة . لقد طبقت

أسرة حميد الدين نظرية ميكافيلي وهى ـ الدين فى خدمة السياسية ـ

* * *

بدأت الحركة الوطنية الوليدة .. بعقد اجتماعات فى بيت الأستاذ أحمد نعمان مع الأستاذ محمود الزبيرى والشيخ جازم الحروى والسيد محمد الوريث والسيد أحمد محمد باشا والسيد أحمد الشامى وغيرهم من الشباب المثقف . وكنا كاطفال نتابع خطواتهم لكننا لانعرف ماذا كانوا يعملون . . ؟

وأحس ولى العهد أحمد بخطورة هذه الأجتماعات . وهو شكاك بطبيعته ـ فطلب من أبيه الأمام يحيى امداده بجيش من صنعاء كان يسمى الجيش الدفاعى لينضم إلى الجيش المظفر الموجود فى تعز لمواجهة ماقد يحدث من تطورات .. ـ خصوصا ، والعلاقة مع عدن قد ساءت بعد مصادرة السبع اسفن الشراعية المحملة بالحبوب والمصدرة إلى ميناء عصب وجيبوتى ..

* * *

والجيش الدفاعى هو الجيش الذى قام بتنظيمه الفريق تحسين باشا وهو من أصل عربى سورى فقام بوضع نظام التجنيد الأجبارى من القبائل المحيطة بصنعاء وكانت بمدة التدريب أربعه أشهر أو أكثر وتستمر الدورات للجنود عدة سنوات متقطعة . ويطلبون عند الحاجة . وقد اختار الفريق تحسين باشا ضباط الجيش الدفاعى من أبناء المشايخ وكذلك ضباط الصف . وفتح مدرسة لضباط وضباط الصف لمن يعرف القراءة والكتابة .

وقد لحق بالفريق تحسين باشا ضابط عربى سورى آخر هو اللواء أركان حرب مصطفى وصفى الذى قام بالأشراف على الجيش المظفر من حيث تدريبه وتسليحه .

وفى اعتقادى أن الأتراك قد لعبوا دوراً هاماً فى تنظيم الجيش اليمنى فقد تركوا خلفهم لواءا كاملا بجنوده وسلاحه وضباطه وكان على رأس هذا اللواء العميد كنعان بك [وهذا بعد اتفاقية وعان التى أبرمت بين الأتراك والأمام يحيى]

يساعده العقيد نجيب بك والعقيد محمد شوقى بك ...
وقد استطاع العميد كنعان بك ومساعديه أن يؤسسوا نواة الجيش اليمنى ففتحوا مدرسة ضباط الصف ومدرسة الضباط ويلتحق بها أبناء القبائل وغيرهم ممن يعرفون القراءة والكتابة وكان مدير هذه المدرسة العميد كنعان بك وساعده ضباطه .

كذلك عين راغب بك محافظ الحديدة فى عصر الأتراك — وهو تركى — لادارة السياسة الخارجية وتوقيع الاتفاقيات الدولية وقد قام باق الأتراك والعرب القادمين مع الحملة بتنظيم ادارة الدولة اليمنية فى ذلك الوقت .

عادت بعثة الضباط من العراق . وذهبت مع زملائى كالعادة لتأدية الصلاة فى المسجد الكبير [المظفر] وبعد أن قضيت الصلاة خرج ولى العهد أحمد من الباب الخاص به فى مسجد المظفر ، ثم خرج الضباط الذين كانوا يرتدون ملابسهم الرسمية والنجوم تلمع على أكتافهم وقد وضعوا على رءوسهم « الفيصلية » كان زيهم جديداً ليس له مثيل فى اليمن . منظر يبشر بالأمل . وكانوا كما أتذكر : حمود الجائفى وأحمد الأنسى ومحمد صالح العلفى وقد جاءوا إلى تعز وكلهم حماس ورغبة شديدة فى القيام بالمهمة الموكولة إليهم وهى تدريب القوات المسلحة اليمنية .. أعد لهم ولى العهد أحمد استقبالاً حافلًا فى ساحه الجيش بميدان « العرضى » شارك فيه طلبة المدارس والرهائن .

وبدأ الاحتفال بمرور الحرس الخاص ثم الجيش المظفر تم الجيش الدفاعى القادم من صنعاء والذى قامت بتدريبه البعثة العسكرية العراقية وقد حمل الجنود أسلحة جديدة . بنادق بشلى [ايطالية] ومدافع رشاشة فى حين كانت أسلحة

الجيش المظفر فى تعز عبارة عن بنادق تركية قديمة تسمى [موزر] .

وتبارى الخطباء فى القاء كلمات الترحيب بولى العهد أحمد ... وكان منهم الأستاذ أحمد نعمان ، والأستاذ محمد محمود الزبيرى الذى ألقى قصيدة خاطب فيها ولى العهد يقوله :

مقامك فوق النجم بل هو أعظم

وسيفك فى كل الرقاب محكم

وهى قصيدة طويلة كانت حديث الناس فى تعز وغيرها من المدن وألقى ولى العهد أحمد خطاباً هدد فيه بريطانيا بالحرب إذا عادت للتحرش بالقوات اليمنية التى تحرس الحدود .. لم يكن ولى العهد أحمد يعنى مايقول فقد كان يستهدف اظهار قوته فحسب أمام أهل تعز وغيرهم بأنه قادر على محاربة بريطانيا التى كانت تلعب دوراً خطيراً فى منطقه الجنوب كله [تعز وأب والحديدة والبيضاء ..]

★ ★ ★

بدأ الصراع بين القديم والجديد .. أو بين الضباط القدامى والضباط الجدد .. الضباط القدامى يرفضون التنظيمات الجديدة ، فقد تعودوا على العمل الضئيل جداً مثل الحراسة واثبات الحضور والإنصراف ، والقيام بالاستعراضات .. حسب المناسبات .. ونحو ذلك . أما الضباط الجدد فيطلبون التدريب الجدى المستمر والاطلاع المتواصل على أحدث ماوصل اليه الفكر العسكرى فى ذلك الوقت ..

وقد بذل الضباط الجدد جهوداً مضنية من أجل اقناع الضباط القدامى بضرورة تطوير أنفسهم لمواجهة التغيرات على الساحة العسكرية ، ونجحوا فى ذلك ولكن حدث شيء لم يكن فى الحسبان ...

فقد انتشر مرض الملاريا بين أفراد الجيش الدفاعى الجديد . ومات الكثير منهم .

وقامت بعض النسوة فى جبل صبر بترديد أغنية حزينة تقول :

الله يخليك ياجيش يادفاعى

القبر مفتوح والكفن مراعى

لم ينزعج ولى العهد أحمد من فتك الملاريا بأفراد الجيش الدفاعى بقدر ماأزعجته هذه الأغنية الحزينة الوافدة من حبل صبر ، فأصدر أمراً بأن تتزوج كل الفتيات .

وتم إجراء حصر للبنات والنسوه اللاتى لم يتزوجن بعد والشباب الأعزب . وأجبر الجميع على الزواج عقاباً لهم ! !

لقد كان ولى العهد أحمد يحكم على الأمور بحسب تفكيره الخاص

★ ★ ★

علم ولى العهد أحمد أن ضريح « أحمد بن علوان » فى مدينة يفرس أصبح مزاراً لكثير من أبناء الشعب . وأن سمعته الحسنة وكراماته قد امتدت إلى الهند وباكستان واندونيسيا وأن وفوداً من هذه الدول تأتى لتتبرك به . واستقر رأى ولى العهد أحمد عل قرار .. هو هدم ضريح هذا الولى . والقبض على المسئولين عن جمع الهدايا والنذور .

فمهد لذلك من خلال تمثيلية قمنا نحن الطلبة بتمثيلها وهى للأستاذ محمد حيدره وكان القصد منها محاربة الدجل والخرافات لكن ولى العهد أحمد أعتبرها فرصة كبيرة للتخلص من أحمد بن علوان والملقب « بالباهوت » فطلب من الأستاذ محمد حيدره تمثيل هذه الرواية فى ميدان تعز ليراها كل الشعب ثم كرر تمثيلها فى قصره الخاص .. وبعد ذلك ذهب ولى العهد أحمد فى موكب عسكرى ضخم الى مدينة يفرس حيث تم تحويل ضريح الولى « أحمد بن علوان » إلى أنقاض ..

وعاد الموكب المنتصر إلى مدينة تعز ، فاستقبلته الجماهير بحفاوة فقد

انتشرت إشاعة تقول أن معركة حامية الوطيس دارت بين ولى العهد أحمد « ياجنة » وبين أحمد بن علوان الملقب « بالبأهوت »

وقد حرص ولى العهد أحمد على أن يمر موكبه فى شوارع مدينة تعز ، حتى تتاح الفرصة لسكان المدينة ليروا آثار الغبار يغطى لحيته وثيابه ، واعتذر عن مقابلة أحد من المسئولين بدعوى أنه أصيب بجرح فى يده أثناء المعركة التى أنتهت بضربة قاصمة من سيفه على رأس أحمد بن علوان فانشطر إلى جزأين .. كل هذه الدعاوى والمزاعم تقال وأحمد بن علوان مدفون فى قبره منذ سنوات طويلة ! !

جاء سيوف الاسلام .. اسماعيل ويحيى وابن ولى العهد أحمد محمد البدر لتهنئة ولى العهد بهذا الإنتصار الرائع وزيارة مدينة تعز المشهورة بجوها الخلاب ..

ووجهت الدعوة إلى كبار الموظفين والتجار وضباط الجيش ومشايخ تعز لتناول طعام الغداء والقات احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة ...

كما دعى طلبة مدرسة تعز — الوحيدة — للغداء ، وتمثيل مسرحية « أولياء الله » وقد حاز العرض اعجاب الحضور . وكان ولى العهد أحمد منشرح الصدر ، دائم الابتسام فقد تخلص من منافس خطير له وهو أحمد بن علوان . وضمن بأن الهدايا والنذور ستصب فى خزائنه ، لا فى صندوق نذور الموتى !

وأعتقد أن هذا العمل قد خدم الشعب اليمنى دون أن يعلم ذلك ولى العهد أحمد فأزال الخرافات . كان يشارك ولى العهد أحمد فى كتابة الأحجبة السيد محمد حسان والسيد عباس بن على وكان يقيم فى منطقة الجحمليه ويشغل وظيفة حاكم المقام [القصر] وهو رجل فاضل . وقد منع ولى العهد أحمد بن حسان من القيام بهذا العمل . ولكى يضفى على نفسه هالة كاذبة من الولاية أمر بانشاء سبيل لأهل تعز بجوار مسجد المظفر وحوض ماء للفراش [الدواب] وكتب على السبيل أسمه وتاريخ إقامته — وكأنه أقام سد مآرب — وكان يطلب من عقال « شيخ » الحارة أسماء من يستحق الصدقة ويقوم بنفسه بتوزيعها عليهم فى

شهر رمضان وحوله مجموعة من القضاة والمستشارين .

وذات يوم . بينما كان ولى العهد أحمد يقوم بتوزيع الصدقات على المحتاجين من حارة اسحق . تقدمت بنت المكاوى وعلى وجهها الخمار ، [المقرمه] من ولى العهد أحمد لتتناول الصدقة ، فطلب منها أن تكشف وجهها فهو إمام المسلمين ويجوز له أن يرى وجهها ورفعت الخمار ، وولى العهد أحمد يعطيها بعض الريـالات ومضت ، وقد تزوجت فيما بعد أحد الأسرى الألمان الذى أسلم وسمى نفسه عبد الله وكان أسمه قبل إسلامه شلاته .

وجاءت بعدها بنت غلابى الجزار التى زوجها ولى العهد أحمد لخادمه محمود الذى أنجب منها ولداً سماه محمد محمود [الذى كان الأمام فيما بعد يتفاءل به ويعتبره كولده البدر] فطلب ولى العهد أحمد منها أن ترفع الخمار عن وجهها كما فعلت زميلتها من قبل فأغرق فى الضحك عبد السلام الحداد وعلى محمد عبده وأحمد الفقيه العريدان . فصرخ ولى العهد أحمد صرخة مدوية وأمر حرسه بالقاء القبض عليهم وحبسهم فى سجن الشبكة الشهير .. ثم نهض من مكانه ودخل القصر ! !

ولم يفرج عن الثلاثة إلا بعد أن تدخل عامل تعز السيد محمد الباشا رحمه الله ومستشار ولى العهد أحمد القاضى حسين الحلالى رحمه الله والتمسوا من ولى العهد أحمد الإفراج عنهم بحجة أنهم لم يكونوا يقصدون الإساءة إليه ..

* * *

كان ولى العهد أحمد يحب أمتلاك الأشياء ويغتصب حقوق الأخرين ويحب أن يكون كل شيء ملكا له ...

كانت قد وصلت سيارة أنجليزية صغيرة سوداء من عدن للسيد أحمد محمد باشا أبن عامل تعز وهى أول سيارة من نوعها تصل الى تعز ..

وعندما عاد ولى العهد أحمد من الدورة [النزهة] شاهد السيارة تقف أمام منزل السيد أحمد الباشا وقد نقلت على الفور إلى قصر ولى العهد أحمد بتعز كيف نقلت إلى هناك هل عن طريق الأغتصاب أو عن طريق الموافقة بالاكراه الله أعلم .. ؟!!

وقد ظلت تلك السيارة فى فناء القصر دون أستعمال وكان ولى العهد أحمد اذا أعجب بحمار او بغلة أو حصان أخذه من صاحبه ، لاليستخدمه لكن ليحتفظ به لنفسه ويحرم الأخرين ... ! !

★ ★ ★

بدأت عقولنا تتفتح وتتسع آفاق المعرفة أمامنا بما نسمع من دروس الأستاذ حيدره عن عنتر بن شداد وأخيه شيبوب وبعض الدروس فى القراءة والشعر .. والسخرية من شخصية ولى العهد أحمد الأسطورية وغيره ـــ بكلمة كلهم تيوس [جدى الغنم] .

كذلك كنا نحضر لنسمع القاضى محمد العطاب وهو يقوم بالتدريس لبعض الشباب مثل عبد العزيز الحروى ، ومردس الحروى وعبد الجبار الحروى وغيرهم بعد كل صلاة مغرب . فى مسجد قبة سيدى عبده

كذلك ماكان يرويه القادمون من عدن عن السينما والسيارات التى تسير على طريق ممهدة مرصوفة ، والكهرباء التى تنير المنازل .

وكنت أجلس مع الزملاء محمد عبد العزيز سلام وسلطان سعيد حايل ، ومحمد الصلوى ، وعبد الرحمن المجاهد وأخيه ، وفضل عباس باشا ، وعلى محمد عثمان ، وأحمد محمد الشيخ وأمين غالب عبيد ، وقايد محمد لطف نسمع عن هذه المخترعات الحديثة ونحن فى حالة أنبهار كامل ، فقد كانت تبدو أمامنا كأنها أساطير أو حكايات من ألف ليلة وليلة ! ! خصوصاً وكان المتحدث الينا ابن

الوحش فكان يصف كل الأشياء بدقة فلم يكن فى اليمن شىء من هذا كله ، كان هناك الفقر والمرض ، والجهل ، والظلم ، والفساد ..

* * *

ذات يوم طلب الأستاذ محمد حيدره منى ومن شقيقه عبد الله حيدره ، أن نقود حمارين إلى حوض الملك الأشرف . وبينما كنا نسير فى منتصف الطريق قابلنا الأستاذ حيدره وأخبرنا أن الحمارين سيركبهما الأستاذ أحمد نعمان .. والأستاذ محمد محمود الزبيرى وأوصانا بكتمان هذا الأمر ومضينا فى الطريق والمطر يهطل .. حتى وصلنا إلى جوار التولقه [شجرة تشبه شجرة الجميز] فوجدنا رجلاً فى انتظارنا فأخذ الحمارين لتوصيلهما إلى الأستاذين .. وبعد أيام سمعنا أنهما وصلا إلى عدن لإتخاذها مقراً لمقاومة النظام القائم كما فعل من قبل الشيخ مطيع دماج الذى هدموا بيته لإرهاب كل من تسول له نفسه رفع راية الجهاد والمطالبة بحقوق الأنسان اليمنى وكان الشيخ مطيع دماج رحمه الله أول شيخ يطالب بالدستور ولحقه بعض مشايخ اليمن مثل الشيخ محمد القوسى وغيره .

أتفقت مع الزملاء أمين غالب عبيد وعلى محمد عثمان وعبد الله حيدره وعلى محمد عبده على أن تقوم بعمل ما ... لضرب محمد البدر ابن ولى العهد ومن معه « بالنبال » كانت هذه رغبة الزميل أمين غالب عبيد الذى كان منزعجاً من البدر فوضعنا خطة لضرب الموجودين فى بستان دار الناصر [الفرج] وذلك بأن نذهب إلى المسجد المجاور للقصر بحجة الصلاة ، وحددنا صلاة العصر حيث يكون الكثير من الناس فى بيوتهم يأكلون القات .

وأصعد أنا إلى النوبة « غرفة الحراسة » للتحدث مع الجندى الذى يقوم بالحراسة ، على اعتبار أن الجنود يعرفوننى فوالدى أمير المفرزة فى تعز ، ويقوم الزملاء بضرب الموجودين بالنبال [المنحمى أو القوس] وقمنا بوضع الخطة موضع التنفيذ ..
بدأت اتجاذب أطراف الحديث مع الجندى الذى أصر على أن يقدم إلى قدحاً من القهوة .

وأثناء ذلك سمعنا أصواتاً قادمة من بستان القصر حيث كان يجلس البدر ابن ولى العهد والسيد أحمد زباره والسيد عبد الله عبد الكريم والشيخ صالح محسن وغيرهم ممن كانوا فى انتظار مقابلة ولى العهد أحمد لهم .

حدث هرج ومرج .. فقد أصيب البدر فى فخذه وتساقطت الحجارة على الأخرين .. وعلى نوافذ القصر وتحطم الزجاج ..

هتف بى الجندى: أسرع بالهرب .. فخرجت مسرعا حيث كان زملائى فى انتظارى وكنا قد حددنا مكان اللقاء بعد العملية .

وذهبنا نلعب بالكرة كأننا لم نفعل شيئاً .

وقال أحد المستشارين لولى العهد أحمد :
ـــ خذ حذرك من هذه الجماعة الهاربة ـــ يقصد الأستاذ أحمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيرى والشيخ مطيع دماج وغيرهم ـــ فاليوم حجارة ، وغداً قد يكون الرصاص .

ولكن ولى العهد أحمد لم يستمع إلى هذا الرأى ومضى سادراً فى غيه .

وبعد أيام حدث أمر مؤسف جعلنا نندم على ماقمنا به من القاء الحجارة على قصر ولى العهد أحمد . ذلك أن فلاحاً (رعوى) من جبل صبر ضاق صدره بالظلم الواقع عليه ، فأراد أن يرفع مظلمته لولى العهد أحمد . فهداه تفكيره أن يصعد إلى قبة مسجد عبد الهادى السودى المجاور للقصر .. ويصرخ بأعلى صوته لعل أحداً يستمع إليه فلما ضاع صوته فى الفضاء ولم يسمعه أحد . راح ينفس عن مشاعره المكبوتة بالقاء الحجارة على قصر ولى العهد أحمد المجاور لمسجد عبد الهادى السودى ..

دعى ولى العهد أحمد كل الموجودين فى قصره وعقد اجتماعاً سريعاً مع حاشيته

ومستشاريه لبحث هذا الحدث الخطير .

فقالوا : إن العمل فخ منصوب لك ولحرسك الخاص إذا أراد الحرس الخرو ج للقبض على هذا الرجل فأصدر أمراً باستدعاء الحرس الخاص [العكفة] وأمير المفرزة وأمير المركز لمحاصره المسجد وتفتيش المنطقة المجاورة له تفتيشاً دقيقاً بحثاً عن الكمين المزعوم .

ظل الرجل (الرعوى) يصرخ ويلقى الحجارة على القصر حتى تسلل أحد رجال الحرس الخاص [جمعان] إلى القبة وأطلق على الرجل المسكين الرصاص فأرداه قتيلا . ! !

وفى صباح اليوم الثانى ربطت ساقا القتيل بالحبال .. وجروه على الأرض إلى الباب الكبير ، أمام مقر أمير المركز السيد أحمد الحيفى وظل الرجل هناك حتى عاد ولى العهد أحمد من النزهة [الدورة] وألقى نظرة على ضحية .. الظلم .. والطغيان .

أتخذ ولى العهد أحمد من العرضى [منطقة بها مقر الجيش] مقراً لإقامته بعد هذا الحادث ، فقليلًا ما كان يقيم فى دار الناصر بتعز خوفاً من مؤامرة الهاربين فى عدن كما كان يطلق على الأستاذ أحمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيرى والشيخ مطيع دماج والأخرين فى حين كان الشعب يسميهم بأسم « الأحرار »

وبدأت المنشورات تنتشر بين أبناء الشعب تحضه على الثورة ومقاومة الظلم .. والطغيان .. والكهنوت الأسود

كان أحد عبيد محمد البدر ابن ولى العهد أحمد وأسمه « توفيق » يتحدث معى وهو فى طريقه إلى منزله وسنه متقارب مع سنى أو أكبر بضع سنوات . ويفضى إلى بما يجرى داخل القصر من أمور ليشعرنى بأهميته وفهمه للأمور وكنت بدورى

أحكى ماأسمعه إلى زملائى ويظل الخبر يتنقل حتى يصل إلى مسامع ولى العهد أحمد ويشك فى أن بالقصر من يمد الأحرار بالأخبار ..

وعند سفر الأستاذ أحمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيرى أستشاط ولى العهد أحمد غضبا وأصدر أمراً لحرسه الخاص [العكفة] بهدم منزل الأستاذ أحمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيرى كما فعل مع الشيخ مطيع دماج .

وبينما كان الحرس الخاص يقوم بتنفيذ الهدم . نصح القاضى حسن الحلالى وعامل تعز السيد محمد الباشا ولى العهد بعدم الاستمرار فى أعمال الهدم لأن نعمان والزبيرى لايملكان المنزلين فمنزل الأول ملك الشيخ جازم الحروى ، والمنزل الثانى ملك لبيت الأبيض فوافق ولى العهد على رأيهما .

راودتنا فكرة الهروب إلى عدن خاصة بعدما سمعنا من الزملاء ابن الوحش ومحمد عبد العزيز سلام عن السينما والكهرباء والطرق المرصوفة ...الخ ولكن كيف ؟

ومن أين لنا المال اللازم لتنفيذ الخطة ؟ ؟
غدا رمضان ، وستقوم الحكومة بصرف مرتبات الموظفين ، وعلينا أن نذهب فى الصباح الباكر لصرف المرتبات بدلًا من الآباء ــ كان من السهل على الأبناء أستلام مرتبات آبائهم ــ ثم نبدأ رحلة السفر إلى عدن .

بعد أن أتفقنا على ذلك شعرت برعدة تسرى فى كيانى ، خفت من أبى . فاقترحت عليهم أن نسافر على دفعتين ، وأن أكون فى الدفعة الثانية .

كانت الدفعة الأولى تتكون من : قايد محمد لطف ومحمد أبو بكر الصديق وأمين غالب عبيد وعلى شليه . وقد قاموا بصرف مرتبات آبائهم واشتروا ملابس جديدة تشبه الملابس العدنية وبدأوا الرحلة الى عدن .

ولست أدرى حتى اليوم كيف أكتشف أمر هروبهم ..
هل الآباء عندما ذهبوا لإستلام مرتباتهم فعرفوا أن أبناءهم قد سبقوهم إليها وخوفاً من بطش ولى العهد أحمد أخبروه فأمر بأرسال برقيات إلى جميع نقط الحدود للقبض عليهم على أعتبار أن هروب الطلبة إلى عدن حيث أعدائه الأحرار — بادرة خطيرة قد تهدد النظام كله .. ؟

فى أثناء الطريق كما أخبرونى تعب قايد محمد لطف ولم يستطع مواصلة الرحلة ، فتعرف عليهم أحد الجمالة وكان يعرف أمين غالب عبيد فاستصحبهم معه إلى قريته ، ويبدو أنه عرف أن ولى العهد أحمد أصدر أمراً بالقبض عليهم فهددهم واستولى على مابقى معهم من النقود وسلمهم إلى المسئولين .

وعند الباب الكبير التقيت بالسيد محمد الوريث رحمه الله وسألنى

— أين زملاؤك ؟
قلت له : ذهبوا لإحضار الجهيش [سنابل الذرة الخضراء] من حقل بيت غالب عبيد .

قال : قل الحقيقة فقد ألقى القبض عليهم .
شعرت أنه يريد أن يستدرجنى فى الحديث ليعرف الحقيقه ولكنى كنت حذراً . فتساءلت : ولماذا يقبض عليهم وقد ذهبوا لجمع الجهيش ؟ !
قال : لاتقلق فقد أرسلنى ولى العهد أحمد لمعرفة الحقيقة ..

وأثناء الحديث وصل الزملاء وقد وضعت أيديهم فى الأصفاد ونظروا إلى فاقتربت منهم وقلت : لاتخافوا فأن السيد محمد الوريث سيقف إلى جانبكم .

سيق الزملاء إلى سجن أمير المركز السيد أحمد الحيفى ، وجاء آباء الزملاء وأنهالوا عليهم ضرباً بالأيدى وركلًا بالأقدام وهم صابرون صامتون .

وقال السيد محمد الوريث لولى العهد : إن هؤلاء الطلبة لاصلة لهم بالهاربين [الأحرار] فى عدن وأن المصلحة تقتضى اطلاق سراحهم حتى لايكون سجنهم مادة يتخذها الهاربون للدعاية ضد النظام . كان رحمه الله ذكيا أراد تخليص الزملاء بأى طريقه . رفض ولى العهد أحمد هذه النصيحة وأمر بايداع الطلبة سجن الشبكة مع القتلة والمجرمين ــ ليكونوا عبرة لغيرهم .

وطلب الأستاذ محمد حيدره رحمه الله من ولى العهد الإفراج عن الزملاء بمناسبة العيد حتى يستطيعوا القيام بأدوارهم فى الرواية التى كان يؤلفها الاستاذ حيدره .. واستجاب ولى العهد لهذا الالتماس خصوصاً وأن الناس كانوا يضحكون من هذا التصرف فأفرج عنهم بعد أسبوع ..

* * *

شعر ولى العهد أحمد وشقيقه الأمير الحسن (حاكم لواء أب) أن الحركة الوطنية قد اشتد ساعدها فالمنشورات تغمر الشوارع فى تعز وإب وهمس الناس فى كل مكان أن الثورة على الأبواب . فأوفد ولى العهد أحمد بعض أعوانه الذين يثق فيهم إلى عدن لمعرفه نشاط الأحرار هناك ومحاولة بث بذور الفتنة والشقاق بينهم ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، وقد زاد الأمر خطورة خروج سيف الأسلام أبراهم الملقب بسيف الحق من اليمن وانضمامه إلى الأحرار فى عدن . فقد يعنى هذا أن يصبح هو إمام اليمن فى المستقبل .

بدأ ولى العهد يفكر فى هذا الخطر الزاحف عليه والذى يهدد كل آماله الواسعة التى عاش بها ومن أجلها . وها هى على وشك أن تذوى وتجف وتتساقط كما تتساقط أوراق أشجار الخريف ..

وفكر ولى العهد أحمد فى مواجهة هذا الخطر . لماذا لايمد يده إلى الإنجليز ليستعين بهم عند الحاجة وهم على مقربة منه فى عدن ؟

فقام بزيارة رسمية إلى عدن ، واستقبله الحاكم البريطانى أستقبالًا حاراً حافلًا ، ليؤكد لشعب جنوب الجزيرة العربية وشعب اليمن أن ولى العهد أحمد الذى هدد ذات يوم بشن حرب من أجل تحرير الجنوب .. ، جاء اليوم .. يبارك الإستعمار .. لمصالحه الخاصة .. ! !

وهكذا تتفق مصالح الحكام الطغاة مع مصالح القوى الاستعمارية لتشد من أزرهم ويظلوا على كراسى الحكم فى حماية الحراب الأجنبية . ونحن اذا قلبنا صفحات التاريخ نجد صدق هذه المقولة : فحين قامت الثورة العرابية فى مصر ، انضم الخديو توفيق إلى القوات البريطانية الغازية ، وعاد من الاسكندرية إلى القاهرة فى موكبها وفى حمايتها وظل متربعاً على كرسى الحكم .

وقد حاول ولى العهد أحمد أثناء زيارته لعدن ، أن يستميل الأحرار إلى صفه وأغراهم بالمناصب والمال ، ولكن محاولته لم تنجح . وأنضم إلى الأحرار فى عدن بعض المشايخ من الحداد وخولان كذلك فر القاضى أحمد الحضرانى الشاعر والحفاظه المشهور الى عدن .

فزادت قوة الأحرار فى الضغط على النظام الذى بدأ أركانه يفكرون فى إجراء بعض الأصلاحات ، والمسكنات وخاصة فى نظم التعليم فى محاولة لإمتصاص غضب الشعب .

* * *

وفدت فيما بين ١٩٤٦ ـــ ١٩٤٧ بعثة تعليمية مصرية إلى اليمن وكانت تتألف من السادة :

مدرسو اللغة العربية

١ ـــ أحمد جمال الدين عمار مدينة تعز

٢ ــ على هيكل	مدينة الحديدة
٣ ــ عبد الحميد محمد	مدينة صنعاء

مدرسو اللغة الانجليزية :

١ ــ محمد إسماعيل موافى	مدينة تعز
٢ ــ ابراهيم عيسى	مدينة الحديدة
٣ ــ حلمى عثمان	مدينة صنعاء

مدرسو العلوم والرياضيات :

١ ــ مهندس أحمد زكى حسن	مدينة تعز
٢ ــ مهندس زراعى عمر محمد الروبى	مدينة الحديدة
٣ ــ مهندس رياض الجندى	مدينة صنعاء

وبعد وصول أعضاء البعثة إلى تعز دعاهم ولى العهد أحمد للتعارف وعندما علم أن السيد عمر محمد الروبى مهندس زراعى عهد إليه بالإشراف على زراعات سموه فى تعز وأرسل إلى مصر يطلب مدرساً آخر يحل محله فى الحديدة وفعلا وصل المهندس عبد السميع خطاب وبذلك أصبح عدد المدرسين المصريين فى اليمن عشرة .

كان المهندس الزراعى عمر محمد الروبى قد تأخر فى الوصول مع البعثة . وحينما قابل ممثل ولى العهد أحمد فى عدن السيد حسين الويسى قال له :

ــ انك ستمكث ثلاثه أيام فى مدينة التواهى للإستراحة من عناء السفر . [وفى الواقع لم تكن للاستراحة ولكن انتظار السيارة البريد الوحيدة التى كانت تربط عدن بمدينة تعز]

وستقيم فى نفس الفندق الذى يقيم فيه الأمير سيف الأسلام ابراهيم وأرجو عدم الاتصال به أو بأحد من الذين يترددون عليه حتى لايغضب ولى العهد أحمد .

وقد أخبرنى أستاذى المهندس الزراعى عمر محمد الروبى أنه كان يتناول طعام الإفطار فى مطعم الفندق فلاحظ أن رجلًا يحدق فى وجهه فقال له : هل أنت الأستاذ صالح المسمرى ؟ فأجاب بالإيجاب فقال : لك معى رسالة من مكتب الشيخ حسن البنا رحمه الله .

قال : هلم بنا لزيارة الأمير سيف الأسلام ابراهيم ومد يده وأمسك بيد المهندس عمر الروبى وسارا معاً ، حتى وصلا جناح الأمير سيف الأسلام ابراهيم الذى كان مجتمعاً فى ذلك الوقت بالأستاذين أحمد نعمان ومحمد محمود الزبيرى وبعض أحرار اليمن .

وأذن الأمير لهما بالدخول . وبينما كان الجميع يتجاذبون أطراف الحديث دخل عليهم السيد حسين الويسى الذى دهش لرؤية المهندس عمر محمد الروبى وقال له :

ــ لقد نصحتك بعدم مقابلة الجماعة حتى لايغضب عليك ولى العهد أحمد .

وشده من ذراعه وذهب به إلى غرفته وطلب منه أن يستعد للسفر على الفور .

ولم يجد المهندس الزراعى عمر محمد الروبى مفراً من ركوب السيارة التى اتجهت به إلى مدينة لحج . وهناك قابل سلطان لحج فضل عبد الكريم وتناول معه طعام العشاء وفى الصباح سافر إلى تعز .

★ ★ ★

وأخبرنى أستاذى المهندس الزراعى عمر الروبى أنه عندما وصل إلى مدينة

تعز زاره السيد أحمد محمد الباشا فتعمد أستاذى أن يلقى برسالة إلى الأرض كان الأستاذ أحمد نعمان قد كتب له فيها بعض أسماء لكى يتصل بهم فى تعز والحديدة ، والتقط السيد أحمد محمد الباشا الرسالة من الارض وقرأ عنوانها وكانت بخط الأستاذ أحمد نعمان فقال السيد أحمد محمد الباشا : هذا خط الأستاذ أحمد نعمان ! ! فقال له أستاذى عمر الروبى : نعم

فاطمأن السيد أحمد محمد الباشا وقرأ باقى الرسالة

* * *

أمر ولى العهد أحمد بأن يقيم أعضاء البعثة التعليمية المصرية فى دار الضيافة بعرض تعز [قرب ثكنات الجيش] وقد قام أعضاؤها بمباشرة عملهم فى مدرسه تعز الآحمدية على أسس تربوية حديثة . وقسمت المدرسة إلى قسمين : قسم للكبار الذين سبق أن درسوا الفقه والنحو والتجويد والشريعة الاسلامية وسمى هذا القسم المدرسة العلمية والتحق بها وأصبح مديراً لها الأمير محمد البدر ابن ولى العهد أحمد وهاشم طالب وابراهيم الحضرانى ومحمد الصباحى وغيرهم . وقسم آخر لصغار التلاميذ وقسم إلى فصلين الفصل الأول وكان به السيد عبد الله محمد الباشا ومصطفى أحمد يعقوب وعلى محمد عبده ومحمد عبد العزيز سلام والسيد أحمد شيبان ، ومحمد بركات والسيد محمد زيارة وهزاع بجاش عبد الولى والأخوين السيد حسن السقاف وحسين السقاف وعبد الله حيدره والسيد عبد الله مطر الغرباتى وغيرهم

والفصل الثانى وكان به السيد أحمد محمد الباشا والسيد حسين زيارة والسيد محمد الوجيه والسيد محمد عبد المعطى وعبد الله جزيلان وأحمد صالح العينى ومحمد جمال ، وأحمد قاسم مزاحم وأمين غالب عبيد وعلى محمد عثمان وقايد محمد لطف وغيرهم .

وقد زودت هذه الفصول بالصور والخرائط ، كما تم إنشاء مكتبة فى

المدرسة كانت تحتوى على الكتب الثقافية .. شدنى أسلوب التعليم الحديث ، واستوعبت كل مايلقى علينا من الدروس خاصة ، وقد بدأنا نتعلم اللغة الانجليزية التى ملت اليها .

* * *

أعتنق الأسرى الألمان الأسلام ، وتزوجوا يمنيات مسلمات . آمن الأسرى بأن الإسلام هو دين الحق ، والعدل ، والحرية ، والمساواة ، .. الدين الذى تجد فيه الإنسانية الحل الموفق لكل ماتعانيه من مشكلات إجتماعية .. فهو دين يكفل للإنسان السعادة فى الدنيا والأخرة ..

وصدق المفكر « برناردشو » فى قوله :

« لن تحل كبريات المشاكل فى العالم إلا إذا بعث محمد بن عبد الله من جديد » يقصد تعاليمه ، وسلوك رجال الدين فهم النور والأمل إذا عملوا بما أمرهم ربهم دون خوف من حاكم أو غيره ..

ولكن هذه التعاليم السامية والمبادىء القويمة ، أهدرت فى اليمن السعيد .. ! ! وأسوق للقارىء العزيز هذه القصة التى سمعنا بها ونحن أطفال لتؤكد صدق مأأقوله :

ارتد أحد الرعية [فلاح] عن الإسلام ، والسبب الضرائب الباهظة المفروضة على الفلاحين المسلمين فى حين لم يكن اليهود يدفعون إلا جزية بسيطة . وقد أطلق الرعوى شعره ليربى زنارين [خصلة من شعر الرأس تترك بجوار الأذنيين علامة اليهود] ولبس زى اليهود وبلغ الخبر ولى العهد أحمد فأمر بأحضار الرعوى لمقابلته . فلما مثل بين يديه سأله ولى العهد أحمد :

ـــ لماذا خرجت عن دينك ؟

أجاب الرعوى : بسبب الظلم الفادح الواقع على الفلاحين

قال : عد لدينك .

قال الرعوى : لا .. حتى يرفع الظلم ..

ثار ولى العهد وغضب من هذا الكلام وأمر بإيداع الرعوى سجن الشبكة .. وفى السجن زار الرعوى بأمر ولى العهد أحمد السيد أحمد زبارة والسيد عبد الله عبد الكريم لاقناعه بالتوبة والعودة إلى دين الإسلام . ولكن الرعوى أصر على موفقه .. فأمر ولى العهد أحمد بضرب عنقه بالسيف فى ميدان تعز ، ولم بضعف الرعوى أمام هذا التهديد .

شعر ولى العهد أحمد ومن حوله من المستشارين بدقة الموقف فاذا أمر بقتل الرعوى أستغل الأحرار هذا العمل وشهروا به . وإذا تركه كان متهاوناً فى تطبيق الشريعة التى تتضمن أن حكم المرتد هو الموت ..

عرض ولى العهد أحمد على الرعوى أن يعفيه من الضرائب هذه السنة مقابل عودته إلى دينه .

قال الرعوى : إن المهم هو القضاء على الظلم هكذا أمر الأسلام .
وأخيراً .. أعلن الرعوى توبته ، وعاد إلى الأسلام . وأعفاه ولى العهد أحمد من دفع الضرائب ..

★ ★ ★

سرت دماء جديدة فى شرايين تعز ، والحديدة ، وصنعاء منذ قدوم البعثة التعليمية المصرية ، فقد كان أعضاؤها من المثقفين الملتزمين الذين يعملون على نشر الوعى الثقافى والعلمى بين أبناء العروبة .

والأفكار دائماً أقوى من الرصاص ، فالإنسان يموت وتبقى أفكاره حية خالدة لاتموت .

قد يقتل الظالم إنسانا لكنه لايستطيع قتل فكره ..
بدأ أعضاء البعثة فى أداء رسالتهم النبيلة ، تعليم أبناء اليمن العلم الحقيقى ، لاتلك القشور التى كانت تصب فى آذاننا ولاتكاد تبلغ عقولنا ، فقد كانوا من حملة المؤهلات العليا . وعلى ادراك كامل بخطورة العملية التعليمية وأهميتها فى تطور ونماء الشعوب .

أقبلنا على الدراسة . إقبال الصادى على النبع الصافى ، يريد أن يروى ظمأه ، فقد كان أسلوب التدريس الجديد جذاباً مشوقاً ، حتى كنا نشعر بالأسى عند إنتهاء اليوم الدراسى ، فقد كان يمر سريعاً وكنا نتمنى أن تقف دورة الفلك كى نستزيد من هذا العلم الجديد ..

أجرى امتحان نصف السنة ، وظهرت النتيجة وفزت بالمرتبة الثانية على الفصل ، ويرجع الفضل فيما وصلت إليه للإستاذ عقيل أحمد المتخرج من الأزهر الشريف ومدرس الدين والمهندس الزراعى عمر الروبى اللذان شجعانى على مواصلة الدراسة فى مصر لتتفتح أمامى آفاق المستقبل ..

وكنا قد عرفنا أن بعثة من أوائل الطلبة ستوفد إلى مصر للدراسة . فراح الأمل الحلو يداعب خيالى فى أن أكون ضمن هذه البعثة .. التى ستتلقى العلم من ينابيعه الأصلية . وأرى القاهرة المدينة العربية ، والنيل أطول أنهار إفريقية ، وماءه العذب ، الذى يجذب إليه كل من شرب منه مرة ليعود ليشرب منه مرة أخرى .. من جديد

وبعد فترة جاء إلى تعز عبد العزيز الفتيح وعلى عبده سيف وحسين الحبيشى ومحمد عبد الله عبده وانضموا إلى هيئة التدريس .. خصوصاً وقد تلقوا

علمهم فى عدن على أيدى مدرسين مصريين .. وقاموا بواجبهم نحونا على أحسن وجه ..

ثم انضم إلى المدرسة لمساعدة المدرسين الضابط محمد عبد الولى الذى تخرج من العراق وكان يدرس لنا الرياضة . [الحساب]

وفى أحد الأيام كان الضابط محمد عبد الولى يسير مع المهندس أحمد زكى فى طريقهما إلى المنزل .. وكنت أسير إلى جوارهما وعند باب الكبير توقفا ، وتلاقت النظرات ، فقد كان هناك شاب كسيح أعجم يجلس بجوار شيخ عجوز يشوى الذرة وبعض الفلاحين ويسمون « الحطابين » والحمير تكاد تنوء بما تحمل من الحطب وأحد الحمير ينزف فخذه دما ...

قال إستاذى المهندس أحمد زكى مخاطباً الضابط محمد عبد الولى :

ــ إنظر إلى هذا الحمار « الغلبان » عندنا فى مصر الحمير قوية .. وكبيرة .

تدخلت فى الحديث وقلت :

ــ تتكلم عن الحمار ولاتتكلم عن هذا الشاب المشلول الكسيح المسكين الذى لايجد قوت يومه .

التفت إلى الأستاذ أحمد زكى وقال فى غضب :
ــ لسانك طويل ويجب قطعه .

وأبتسم الضابط محمد عبد الولى فقد عبرت عما يجول فى خاطره .

* * *

ذات يوم سألنى المهندس الزراعى عمر الروني :

ـــ هل لديكم ماء مغلى ؟

فأجبت بالايجاب كانت هذه أول مرة أكذب فيها على أستاذى ، ولا أعرف السبب الذى دفعنى إلى ذلك هل لأنه كان يدرس لنا علم الصحة الذى يحض على غلى الماء قبل الشرب ؟

هل أردت أن يعرف أنى أطبق العلم على العمل ؟ هل لأنهم أصبحوا جيران لنا جدد وليس لديهم ماء مغلى يشربونه ؟ !

لست أدرى . كل الذى أعرفه أنى قدمت له « القلة » فشرب . وندمت يومها ندماً شديداً ورحت أدعو الله أن يقيه شر هذه الجرعات من الماء .. ومرت الأيام ، ولم يصب إستاذى بأذى فحمدت الله أن مرت هذه التجربة بسلام .

★ ★ ★

نجحت فى إمتحان آخر العام . وهذه أول مرة نعرف فيها أن هناك أمتحانا على مراحل فكنا ندرس طول السنة عدا شهر رمضان الكريم والأعياد . وكنت الثانى أو الأول على الفصل .. وقد أثارت هذه النتيجة بعض الزملاء الذين كانوا يعتقدون أنهم أولى منى بما أحرزت من تفوق وهم أقرباء ولى العهد أحمد ، فهمسوا فى آذان آبائهم بأن الاساتذة المصريين قد جاملونى لأنى جارهم فى المنزل ..

وشك ولى العهد أحمد فى أن يكون وراء هذا خط سياسى خصوصاً وأننى من قبيلة بكيل أكبر وأقوى قبائل اليمن ، وفجأة دعيت إلى أحد الفصول وهناك وجدت لجنة مكونة من السيد أحمد زبارة صهر ولى العهد أحمد وعبد الله عبد الكريم صهر ولى العهد أحمد ، والسيد مطهر الوجيه وبعض المدرسين اليمنيين وأعتقد مدير المدرسه الجديد القاضى أحمد الهيصمى . وكانت النتيجة هى نفس النتيجة الفوز بالمرتبة الأولى .

وكان الامتحان فى القراءة والخط والاملاء والدين والتجويد وطلبت منهم أن أمتحن فى اللغة الانجليزية أيضاً وهنا وقفوا .. بدأ أمل السفر إلى القاهرة لمواصلة الدراسة فى الأزهر الشريف يكبر قليلًا قليلًا فالأزهر منار الاسلام ومصدر العلم والمعرفة ، وحصن العروبة ، وقلعة القومية العربية الاسلامية .. شجعنى على هذا أستاذ اللغة العربية .. أحمد جمال الدين . بشخصيته الجذابة وأسلوبه الجميل كذلك أستاذ الدين عقيل أحمد [من لواء اب] لقد تخرج من الأزهر الشريف أساطين العلماء ، والقضاة ، ورواد الحركات الوطنية والقومية . أرادت أن التحق بهذه الجامعة العريقة ذات الصيت الذائع فى العالمين العربى والاسلامى لأكون واحداً من علماء الدين الكبار الذين يشار إليهم بالبنان ...

وكنت واحداً من أعضاء بعثة تعز التى وقع عليها الإختيار وقد انضم إلى البعثة كبار الأسر مثل بيت زيارة وبيت الباشا وغيرهما خصوصاً وأن البعثة متوجهة إلى مصر ..

وقد ساورنى الخوف وأستبد بى القلق، فإن أبى لايمكن أن يوافق على سفرى إلى مصر خاصة بعد أن فقد أخى منصور وماتت أمى ولم يبق له فى الدنيا غيرى.

فرحت ألح عليه الحاحاً شديداً ليوافق على سفرى لمواصلة دراستى وقلت له: أن هذه فرصة قد لاتتاح مرة أخرى. فكان يوافق يوماً ويعترض يوماً آخر.

ولقرب منزلنا من منزل أعضاء البعثة التعليمية المصرية كنت كلما رأيتهم فى الحديقة أسرعت اليهم أسمع حديثهم المحبب الى القلب..

وفى يوم جمعة كان الأستاذ عمر الروبى والأستاذ أحمد زكى يقفان إلى جوار بركة الماء [حوض فى الحديقه] وكنت إلى جوارهما وكان ولى العهد أحمد يقوم بنزهة [دورة] كما هى العادة فى جبل القاهرة على مسافة ثمانمائة متر تقريباً والى جواره العكفة [الحرس الخاص] نظر الأستاذ المهندس أحمد زكى وقال للأستاذ المهندس

الزراعى عمر محمد الروني:

ـــ انظر أنه يتجول [بقصد ولى العهد أحمد] على سفح الجبل ويمكن لأى إنسان أن يرميه ببندقية من هنا. والتفت الأستاذ المهندس عمر ليرى المنظر ولكنه انتبه إلى وجودى فقال لى الأستاذ عمر:

ـــ منذ متى أنت هنا؟
قلت له: منذ بدأ الحديث عن ولى العهد أحمد وهو مصرف لاتخترقه الرصاص.

فقال الاستاذ أحمد زكى: إيه معنى مصرف؟
قلت : أن الرصاص لايخترق جسده حتى اذا وصلت الى جسمه فإنها تصير كالحجر الصغير. [هكذا كنا نعتقد ويعتقد الكثير.. كباراً وصغاراً]

قال الأستاذ زكى وقد بدا عليه الاطمئنان.
هذه خرافة لكن احذر أن يسمع أحد ماقلنا..

قلت: أطمئن..

وقد سمعت من أستاذى المهندس الزراعى عمر محمد الرونى انه أستدعى بطريقة عاجلة لمقابلة ولى العهد أحمد لأمر هام فذهب إلى مجلس ولى العهد أحمد فقدم إليه برقية مكتوبة بالخط اللاتينى. وقد أرسلت من أحد المهاجرين اليمنيين فى انجلترا تقول البرقية:

ـــ سيف الاسلام عبد الله نصب نفسه وليا للعهد وأعلن ذلك فى كل البلاد التى زارها.

وأنه اتفق مع الإنجليز على أن ينصب إماماً على عدن والمحميات والمناطق الجنوبية من اليمن.

ولان البرقية كانت مكتوبة بالأحرف اللاتينية لكنها تنطق باللغة العربية فقد ثار جدل كبير حول كيفية نطقها بالعربية فى حين أنها بالأحرف الاتينية. ولافرق بين اللغتين إلا فى الأحرف فقط.

وقد هاج وماج ولى العهد على سيف الأسلام عبد الله وأعتقد أن بريطانيا كانت تحاول إغراء الكثير من زعماء اليمن بهذا المنصب ولكن بشروطها الخاصة، وسيكشف التاريخ الكثير عن حقيقة هذا المخطط الخطير.

* * *

وصل إلى تعز أعضاء بعثة صنعاء والحديدة وأستعدت بعثة تعز للسفر إلى القاهرة.. وفجأة تقرر سفر البعثة بالكامل إلى لبنان.

* * *

أقنع الأمير سيف الإسلام عبد الله المسئول عن التعليم والده الإمام يحيى بالموافقة على إيفاد بعثة تعليمية إلى الخارج من أجل تحقيق هدفين أولهما اظهار اليمن فى صورة مشرقة أمام الرأى العام العربى، وأن أسرة حميد الدين تستهدف نشر التعليم وأنها تعمل على تقدم ورقى الشعب اليمنى. وثانيهما : اقناع الأحرار فى عدن واليمن على حد سواء بأن الإصلاح الذى يطالبون به فى طريق التحقيق .

ويقال إن الدكتور عدنان ترسيس (من لبنان) هو الذى أشار على سيف الإسلام عبد الله بهذا الرأى، كما أنه هو الذى أقنع الأمير بسفرالبعثة إلى لبنان وبرر ذلك بقوله أنه من اليسير على السلطات سحب البعثة من لبنان إذا ارادت فى أى وقت تشاء دون أن يحدث لها أيه مضايقات بعكس الحال إذا كانت البعثة فى مصر حيث التيارات السياسية والدينية التى ستشن حرباً دعائيه على أسرة حميد الدين متهمة لها بالرجعية وحجب نور العلم الذى جعله الاسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة عن الشعب اليمنى.

كانت بعثة تعز تتألف من:

عبد الرءوف رافع ــ على محمد عبده ــ محمد عبد العزيز سلام ــ هزاع بجاش ــ السيد حسن إلسقاف ــ السيد محمد وجيه الجنيد ــ عبد الله قايد جزيلان.

وكانت بعثة الحديدة تتألف من:

السيد ابراهيم صادق ــ محمد الأهنومى ــ حسن مكى.

وكانت بعثة صنعاء تتألف من:

عبد الله الكرشمى ــ ومحسن العينى وعلى العينى ــ ومحمد خشاف ــ وأحمد مفرح ــ ومحمد الرعدى. وصالح الجمالى ــ وأحمد قاسم الطل ــ وعلى الحيدرى ــ وأحمد المحنى ــ وعبد الكريم المقحفى ــ وأحمد فايد بركات ــ وعلى عبد الغنى ــ وطاهر الكلالى، وعلى الكهالى وعبده ضيف الله، والسيد محمد زبارة، والسيد صلاح الدين ــ والسيد محمد فالح ــ وعلى المطرى ــ والسيد هاشم الحونى ــ والسيد على السقاف ــ ويحيى جحاف، ــ والسيد على الابيض ــ ومحسن السرى، ومحمد فائح ــ وعلى احمد الخضر والسيد يحيى الديلمى

وكان رئيسا البعثة هما السيد يحيى المضواحى والأستاذ على الأنسى

لقد كانت فرحتى كبيرة لوجود زميلى وصديقى محمد عبد العزيز سلام فهو الذى قص علينا مشاهداته فى عدن من أمور وعجائب لم نسمع عنها وهى حكاية السينما ومشاهدة عنتر وعبله وشيبوب والطرق المعبدة والكهرباء والسيارات الكثيرة والمتنوعة..

الفصل الثالث
الرحلة .. الصغيرة

حانت ساعة الرحيل..

وأمر ولى العهد أحمد بشراء ملابس جديدة لطلبة أعضاء بعثة تعز، وتسلمت الملابس الجديدة وأنا أكاد أطير من شدة الفرح. فهاهو حلم حياتى على وشك أن يتحقق بأن أذهب إلى عالم النور.. والعلم والمعرفة.

أخفيت عن أبى موعد السفر، فقد خشيت أن يوافق على رأى السيد مطهر الوجيه «جارنا» بمنعى من السفر لأنى وحيده، وتسللت خارجا من البيت فى الفجر، وذهبت إلى منزل صديقى محمد عبد العزيز سلام، ومكثت هناك حتى طلوع الشمس.

وتناولت طعام الافطار مع زميلى وأخوته وعمه عبد الرازق المجاهد. ثم ذهبنا معاً إلى مدرسة تعز مكان تجمع أعضاء البعثة.. لنغادر اليمن إلى لبنان.

حشر أعضاء البعثة فى سيارة نقل الحجارة ومعنا أدواتنا البسيطة وسلتا موز [قفة]

إحداهما كبيرة هدية من ولى العهد أحمد للبعثة.

والثانية صغيرة خاصة بالسيد حسن السقاف هدية من والده .كنا جميعاً وقوفا فأرضية السيارة لاتسعنا جميعا كاتب هذه السطور خائف أترقب مجىء أبى ليشدنى من يدى ويعيدنى إلى البيت.. ولكن... السيارة تحركت. وزال الخوف من نفسى رويداً رويداً. ووسط صخب وضجيج الطلبة. نسيت أنى لم أودع أبى وترقرقت عيناى بالدموع..

مد الزميل السيد حسن السقاف يده إلى سلته وأخذ بعض ثمار الموز وبدأ فى تناولها، وإنهال عليه بعض أعضاء بعثة صنعاء لوماً وتقريعاً فقد ظنوا أنه اختلسها من سلة ولى العهد أحمد.. فلما عرفوا الحقيقة.. اعتذروا له عما بدر منهم..

كانت السيارة تسير على طريق ترابية غير ممهدة تكثر فيها الحفر والمطبات، فكانت تعلو فتعلوا معها قلوبنا وتهبط فتهوى معها قلوبنا.. وبعد رحلة شاقة وصلنا إلى جمرك الراهدة فاستقبلنا المسئولون هناك أستقبالًا حافلًا. وبكيت فقد تذكرت أبى الذى سافرت دون أن أقول له كلمة وداع.

وهأنذا أبدأ الرحلة إلى المجهول ولست أدرى ماالذى خطه القدر لى فى كتابه.. هل أعود إلى وطنى الحبيب وقد حصلت على أرفع الشهادات لأكون مواطناً صالحاً أخدم بلدى وشعبى؟ أم تجذبنى أضواء المدنية الزائفة فأنبهر بها وأحترق بضوئها كما تحترق الفراشة.؟!

أنا لم أقطع هذه الفيافى والقفار وأبعد عن أبى وتراب الوطن إلا من أجل العلم.. فالعلم هو الذى يفتح منافذ فى أدمغه الناس ... وهو الطريق الوحيد لرقى وتقدم الإنسان .

قال لى صديقى محمد عبد العزيز سلام :

ــ كف عن البكاء وإلا عدت إلى تعز على ظهر حمار وحرمت من العلم ومشاهدة السينما ورؤية السيارات والكهرباء والطرق المرصوفة ــ وكان يشاركنى البكاء .. وطلب منى الصبر على كل مايحدث لنا ..

كفكفت دموعى .. وجلست مع زملائى نتناول طعام الغداء .. كانوا يتجاذبون أطراف الحديث والضحك أما أنا فكنت أسرح بخيالى فى عنتر وعبلة وشيبوب وبطولة أبو الفوارس .. وكل ماكان يحدثنى عنه زميلى محمد عبد العزيز سلام .

وشدنى إلى أرض الواقع صوت السائق يقول :

ــ هيا إن السيارة ستتحرك الآن فى طريقها إلى عدن .. عاد الطلبة للتكدس من جديد فى السيارة التى ماكادت تقطع عدة كيلو مترات حتى انفجر أحد الاطارات . ولم يكن فى السيارة اطار احتياطى ولا أدوات اصلاح فهى سيارة نقل الحجارة . فمكثنا حيث كنا على مقربة من مدينة لحج فى العراء حتى صباح اليوم التالى . وجاءت سيارة صغيرة سوداء حملتنا على دفعات إلى مدرسة لحج الجميلة .

وقفت فى شرفة المدرسة فرأيت فيلا السلطان وسط حديقة غناء يحيط بها سور حديدى وعلى مقربة منها ميدان واسع اصطف فيه الجنود وهم يرتدون الملابس الرسمية . ويتدربون على أستعمال المدافع والأسلحة .

قارنت بين مايجرى أمامى هنا ، وماكنت أشاهده فى ميدان تعز حيث يقوم والدى والضباط بتدريب الجنود على السير واستخدام السلاح أثناء السير ــ للإستعراضات والمناسبات ــ وهم يرتدون أزياء متباينة فكل ضابط وكل جندى يلبس الزى الذى يريد حسب ذوقه وقدرته المالية ..

وتطلعت إلى سقف الغرفة فشدنى طريقة صنعه أنه سطح أملس ، بعكس

غرف منازلنا ومدرستنا فكلها من الخشب المعوج والطين وبعض الجير الباهت ..

وسألت نفسى : لماذا تسير لحج فى طريق التقدم والرقى ؟
وتسير اليمن فى طريق التأخر والانحطاط ؟ ! !
لم أجد يومئذ .. الجواب على هذا السؤال .

كنت متلهفا على السفر إلى عدن لمشاهدة السينما ورؤية السيارات وهى تسير على الطرق المرصوفة الممهدة .. وسألت صديقى محمد عبد العزيز سلام :

ـــ أين ماكنت تحدثنى عنه من سينما ، وسيارات ... وطرق مرصوفة .. قاطعنى صديقى محمد عبد العزيز سلام :

ـــ اصبر وسترى كل شىء .

وجاءت سيارة نقل الحجارة التى أقلتنا من تعز وتعطلت فى طريق لحج .. بعد إصلاحها ، وأنطلقت بنا نحو عدن .. وتوقفت بنا السيارة عند باب السلب على مقربة من عدن ـــ وأقمنا فى مدرسة تقع على قمة جبل حديد خصصها الأنجليزى المستعمر .. لأبناء المشايخ والسلاطين .

أمر عجيب أسرة حميد الدين تزج بأبناء المشايخ فى السجون ... والاستعمار يخصص مدرسة لأبناء المشايخ والسلاطين ! !

وفى هذه المدرسة قضينا ليلة ليلاء . فما كدنا نلقى بأجسادنا المتعبة على الأسرة المصنوعة من الخشب والحبال [العقايد] حتى انخرط صديقى محمد عبد العزيز سلام فى البكاء والصراخ ودون أن أدرى سبب بكائه بكيت معه أنا أيضاً .
وظل صديقى محمد عبد العزيز سلام يصرخ : أذنى .. أذنى

وأسرع أحد أبناء المشايخ الذى لم يسافر إلى قريته ليقضى أجازته .. بإستدعاء

طبيب وجاءت سيارة اسعاف وأخذت زميلى محمد عبد العزيز إلى المستشفى لفحص أذنه فوجد الطبيب حشرة قد تسللت إلى داخل الآذن [قراد الحمال] وتم علاجه .

وأسلمنا أنفسنا لنوم عميق .

جاء لزيارتنا الأساتذة : أحمد نعمان ومحمد محمود الزبيرى ومحمد صالح المسمرى والبراق ..

ولاحظ الأستاذ البراق صغر سنى فقال مخاطباً الأستاذ أحمد نعمان :

ـــ أنهم يرسلون الأطفال فى بعثات دراسية ليسهل على الحكام استدعاؤهم فى أى وقت اذا أرادوا دون أن يستفيدوا ..

وقعت هذه الكلمات كالصاعقة فلم أنبس ببنت شفه وواصل البراق حديثه قائلا : ٥ × ٦ بكام ؟

أجبت فى غضب :

ـــ أنا الأول على فصلى فى الإمتحان .. و ٥ × ٦ = ٣٠

قال الأستاذ أحمد نعمان :

ـــ أنه تلميذ مجتهد .

وبعد عدة أيام زارنا الأمير سيف الأسلام ابراهيم الملقب بسيف الحق . وقد أسعدتنا هذه الزيارة لأنها أشعرتنا بأننا على درجة من الأهمية ...

* * *

ذهبنا جميعاً نحن أعضاء البعثة إلى السينما .. القاعة فسيحة ، المقاعد مريحة ، الشاشه البيضاء أمامنا . جلست على أحد مقاعد الصالة .. ورحت أدور برأسى ذات اليمين وذات اليسار ، وأرفعها إلى فوق وأخفضها إلى أسفل كمن يبحث عن شيء مقصود ... ماهو لست أدرى ! !

أطفئت أنوار الصالة ، وبدأ العرض السينمائى ... كان اعلاناً عن المبيدات الحشرية .. الحشرات الزاحفة والطائرة تظهر على الشاشة .. وصرخنا جميعاً فى هلع وفزع فقد خيل إلينا أن هذه الحشرات الطائرة آتية نحونا لاريب فى ذلك ، ضحك النظارة ، وسخروا منا وشيئا فشيئا عاد الهدوء إلى نفوسنا والطمأنينة الى قلوبنا . وتابعنا العرض ونحن فى عجب شديد من هذه الآلة السحرية تعرض علينا مشاهد رعاة البقر . رجال يرتدون القبعات ، ويركبون الجياد ، ويطلقون الرصاص والضحايا تتساقط ، كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف ... شيء عجيب .. كيف صوروا هذه المشاهد الرائعة ... وهذه الجبال الشماء ، والروابى الخضر ، والأشجار الباسقة ، والبيوت العالية .. من أين جاءت .. وكيف .. وكيف .. وعشرات من الأسئلة دارت فى ذهنى ولم أعثر لها على إجابه وافية شافية .

فكرت أن أعود إلى أبى حيث أجد العطف والحنان بين أحضانه ، ولكن كيف السبيل إلى العودة وليس معى نقود . وبكيت على حالى . كانت الدموع هى عزائى الوحيد لما ألاقيه وزملائى من عذاب كما كان صديقى محمد عبد العزيز سلام يخفف عنى آلام الأغتراب . فقد كان يشاركنى ذرف الدموع التى كانت سريعة وغزيرة لقد كانت سلاحنا الوحيد . عرف ولى العهد أحمد أن الأحرار قد قاموا بعدة زيارات للبعثة وسرت إشاعة إلغاء البعثة وعودة أعضائها الى تعز . حزن بعض الطلبة ولكنى كنت سعيداً بسماع هذه الأشاعة .. لكنها سرعان ماتبددت كدخان فى الهواء . وتقرر أن يسافر إلى القاهرة : على عبده سيف وعبد العزيز الفتيح وحسين على الحبيشى ، ومحمد عبد الله عبده . أما بقية الطلبة فيسافرون إلى لبنان .

أرتدينا الملابس الأفرنجية التى أعدت لنا لنسافر بها إلى القاهرة . وكانت من

قماش ردىء جداً ... وركبنا باخرة نقل بضائع صغيرة [الحق] من ميناء عدن . تكدس الطلبة على السطح ، واقام رؤساء البعثة فى غرفتين متجاورتين كانت رحلة شاقة ، فقد توقف موتور الباخرة وكدنا نغرق فى وسط البحر الأحمر وكنت أثناء هذا التوقف أنام فوق صندوق مملوء بأطواق النجاة وأشفق على زميلى محمد عبد العزيز سلام وتركنى أنام حتى لاأشعر بما حدث وقد أصيب بعض زملائى بدوار البحر ، وكانت دعابة الطلبة تخفف من حدة العذاب الذى كنا نعيش فيه . بدأ فنار السويس يظهر فى الأفق البعيد ، وأخذت الباخرة تقترب رويداً رويداً من المدينة التى سنحتفل فيها بعيد الفطر المبارك .

أقمنا فى أحد فنادق الدرجة الثالثه بالسويس ، وفى الصباح استيقظت من نومى على أصوات تكبير وتحميد وتهليل .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد .. الله أكبر الله أكبر ..

وجاء خادم الفندق يحمل صينيه كبيرة وعلى شفتيه ابتسامه عريضة وقال :
ــ كل سنة وأنتم بخير عيد سعيد .. تفضلوا الافطار .

لقد كان الإفطار من نوع جديد جبنة بيضاء شديدة الملوحة وقطع من خبز أبيض .. تذكرت وزميلى محمد عبد العزيز سلام فطور العيد فى تعز .. وأسرعت عيوننا بالبكاء .. وبينما نحن نتناول الطعام ترامى إلى أسماعنا صوت موسيقى ، فأسرعنا إلى النوافذ نلقى نظرة على الشارع لنرى من الذى يعزف هذه الموسيقى العذبة .

رأينا منظراً جميلًا لم نره من قبل فى بلادنا ...
الموسيقيون يمتطون ظهور خيول بيضاء ، ويرتدون ملابس أنيقة جميلة ، وبأيديهم الآلات الموسيقية يعزفون عليها أرق الألحان ، التى أنستنا فطور تعز وغيره .

وخرجنا من باب الفندق ووقفنا أمام كشك كبير يجلس فيه الموسيقيون ومن حولهم جمع غفير من الناس يستمعون فى شغف إلى الموسيقى الرقيقة ..

ولفت نظرى رجل شرطة يرتدى الملابس الرسمية وقد وضع على رأسه طربوش أحمر اللون فاقتربت منه على استحياء .

وسألته : أين الملكُ فاروق ؟

ابتسم الشرطى فى حنان وقال : من أى البلاد أنت ؟
أجبت : من اليمن .

قال : الملك فاروق فى القاهرة .
فعدت أسأل : كيف يمكن رؤيته

ضحك الشرطى ومد يده إلى جيبه وأخرج عملة معدنية طبع على أحد وجهيها صورة الملك فاروق .

وقال : هاهو الملك . وعندما تذهب الى القاهرة ستراه .

وعدت إلى الفندق أحمل البشرى إلى الزملاء ..

* * *

قام السيد على المؤيد ممثل حكومة اليمن فى القاهرة بإعداد ترتيبات جيدة لسفرنا من السويس وخلال إقامتنا فى القاهرة التى بهرتنا فالمبانى شاهقة الارتفاع ، والشوارع واسعة مرصوفة ، والكهرباء تحول الليل إلى نهار .. الترام .. السيارات والناس تتدافع فى سرعة وخفة فى كل اتجاه .. ! !

أن القاهرة تموج ... بالحياة ... أحلم هذا الذى نراه أم حقيقه نعيشها ؟

كان الفندق الذى تقرر أن نقيم فيه يقع فى شارع فؤاد [٢٦ يوليو

الان] دلفنا إلى المصعد وضغط العامل على الزر ، فتحرك المصعد إلى أعلى فصرخنا . خوفاً من أن يهوى بنا وابتسم العامل وقال : لاتخافوا وبعد هنيهة توقف المصعد وخرجنا منه وحمدنا الله على السلامة .

خصصت غرفة لكل خمسة من الطلبة [حسب اتساع الغرفة] وكان معى فى الغرفة : هزاع بجاش وصالح الجمالى والسيد على السقاف والسيد محمد الوجيه الجنيد .

كنا ننظر من النافذة فاذا وقعت عيوننا على رجل قصير القامة يضع على رأسه طربوش أحمر اللون اعتقدنا أنه أستاذنا عمر محمد الروبى ونادينا عليه ، وقد يرفع الرجل رأسه ويلتفت إلينا مستغرباً ، وقد يمضى إلى حال سبيله ونستمر نحن فى النداء ولامجيب . !

واذا رأينا رجلًا طويل القامة نادينا عليه معتقدين أنه الأستاذ أحمد جمال الدين عمار أو الأستاذ محمد اسماعيل موافى ولكن كل هذه النداءات لم تأت بنتيجة فقد كان الناس قصيرهم وطويلهم يلبسون الطرابيش الحمراء ..

أردت أن أذهب إلى دورة المياه ، فلم أعرف أين هى ؟ ولاأحد من الزملاء يعرف والكل فى حاجه إليها .. !

وسألت مشرف البعثة الأستاذ على الأنسى فلم يرد جواباً ، وبينما نحن فى حيرة . رأيت غرفة صغيرة نوعاً ما فدخلتها فوجدت مقعدا من الصينى الأبيض ، وصندوق مثبت فى الجدار تتدلى منه سلسلة تنتهى بمقبض من الصينى .

سألت نفسى : ماهذا ؟ وبدافع من الفضول جذبت السلسلة فاندفع الماء داخل المقعد الصينى الأبيض ، فأسرعت بالجرى إلى غرفتى وأغلقت الباب .

سألنى زميلى محمد وجيه الجنيد : ماذا بك ؟

أجبت : لقد فتحت بركة ماء .

جلست مع زملائى ننتظر أن يتسرب الماء من تلك الغرفه العجيبة إلى غرفنا ولكن شيئاً لم يحدث .

وفتحت باب غرفتى بحذر شديد لأرى ماذا حدث ..

فرأيت أحد خدم الفندق فسألته :

ـــ أين المستراح ؟

فلم يفهم معنى ماأقول : فشرحت له بالأشارة أنى أريد دورة المياه .

فقادنى إلى تلك الغرفة وقال : هاهى .

وعدت إلى غرفتى أبشر الزملاء بما اكتشفت وليسرعوا إلى هذا الإكتشاف .. ! !

* * *

وجه السيد على المؤيد رحمه الله إلينا الدعوة لتناول طعام العشاء فى مطعم الفندق . وجلسنا حول مائدة طويلة ونحن فى غاية الحرج ، فقد التف من حولنا عدد من السفرجية ووضع أمام كل طالب طبق وملاعق وسكاكين وشوك .

ولم نكن نعرف كيف تستخدم أدوات المائدة . وزاد من عجبنا هذه الثريات [النجف] التى تتدلى من السقف وتتلألأ بالنور الباهر كأنها النجوم نثرت على صفحة السماء . وقدم إلى كل طالب دجاجة صغيرة مشوية ، وبتردد شديد أمسكت الشوكة والسكين وأردت أن أقطع الدجاجة ، ولكنها أنزلقت فى الطبق وأحدث إرتطام السكين والشوكة بالطبق صوتاً لفت أنظار الجميع . فنصحنى زميل أن أكل هكذا ... وأخذ الدجاجة وأنزوى تحت المائدة .. والتهم الدجاجة وفى اليوم الثانى تناولنا طعام الغداء فى جزيرة الشاى [فى حديقة

الحيوانات بالجيزة] بدعوة من الأمير سيف الإسلام عبد الله كما دعى عدد من اليمن المقيمين بالقاهرة منهم السيد يحيى الدادعى رحمه الله والأستاذ على رجاء والسيد يحيى زيارة ...

كان قماش البدل التى نلبسها رديئاً ، فقد تكرمش ، فكان منظر الطلبة يدعو إلى الضحك ، ولم نكن نعرف أن البدلة تكوى بالمكواه . فكنا نرتديها كما هى لنستر أجسادنا ..

وكان السيد على المؤيد رحمه الله أكثر كرماً وتعاطفاً معنا من ممثل ولى العهد فى عدن السيد حسين الويسى الذى كان مقصراً نحونا وكانت نظرته لنا غريبة ..

* * * *

دخلنا الحمام للوضوء وفتحت صنبور الماء . وفجأة سمعت صوت زميلى إبراهيم صادق يقول صارخاً : بلاش صفاط [هزار] ياعبد الله جزيلان .

نظرت إليه فى دهشة فرأيت مياه الدش تنهمر عليه وهو يرتدى حلته . لم نعرف كيف نتصرف .. تعالى صراخه . أقبل رئيس البعثه السيد يحيى المضواحى وسأل ماذا حدث ؟ قال زميلى ابراهيم صادق : ان عبد الله جزيلان فتح على هذا الصنبور . دخل أحد خدم الفندق ، وأغلق الصنبور وقال : أن زميلى هو الذى فتح صنبور الدش وأنى برىء من الأتهام .

وعدت إلى حجرتى ، وأديت الصلاة ، وجلست أستريح . فاقترب منى زميلى هزاع بجاش وقال : لقد عثرت على خاتم سليمان ؟

سألته فى دهشة : أين ؟

أجاب : هنا فى هذه الغرفة — ومد يده وضغط على زر بجوار مفتاح الكهرباء فأقبل خادم الفندق النوبى وسأل : أى خدمة ؟

قال الزميل : لاشىء . فعاد الخادم من حيث جاء . وضغط زميلى على الزر من

جديد ، دخل الخادم الغرفة وسأل : ماذا تريد ؟

أجاب الزميل : نريد أن نشرب من ماء النيل .
فأحضر الخادم دورقاً به ماء وكوب وقال : تفضل .
قال زميلى : أرأيت أن هذا الزر هو خاتم سليمان ، وهذا الرجل هو العفريت .

صدقت زعم صديقى فلم نكن نعرف شيئاً عن الجرس الكهربائى .

أصدر رئيس البعثة أمره بأن نستعد للسفر إلى لبنان ، فشعرنا بحزن عميق ، فقد أحببنا القاهرة الجميلة الرائعة .. العريقة ، وشعبها الطيب الكريم . فقال لنا خادم الفندق .

ـــ لاتحزنوا . فستعودون إلى مصر مرة أخرى فأن الذى يشرب من ماء النيل لابد أن يعود ليشرب منه من جديد .

ذهبنا إلى محطة مصر ... باب الحديد ـــ فشاهدنا منظراً فريداً لم يقع بصرنا على مثله من قبل ... قطارات قادمة . وأخرى ذاهبة .. جموع من الناس تتدافع كالموج الصاخب الهادر .. خارجة من المحطة أو داخلة إليها ... صفارات القطارات تنطلق . الأيدى ترتفع تلوح بتحية الوداع . أو تتلاقى فى فرحة اللقاء جلسنا على مقاعد القطار الخشبية الذى انطلق يجرى .. حديد ينساب فوق حديد كانسياب الرقطاء ـــ كما يقول شاعر النيل حافظ ابراهيم ـــ وعلى امتداد البصر كنت ترى الأرض الخضراء كأنها بساط أخضر ، آية من آيات الله العلى القدير .

عبرنا الحدود المصرية ، إلى فلسطين ، وماكاد القطار يجتاز غزة حتى توقف .. وحدث هرج ومرج .. كان اليهود يريدون نسف القطار بمن فيه من أطفال ونساء وشيوخ .. فقد وضعوا عبوة ناسفة على شريط السكة الحديد ، ولولا يقظة الجنود الإنجليز الذين أبطلوا مفعول العبوة الناسفة لدمر القطار بمن فيه

خاصة وأن ضابطا انجليزيا يحمل رتبة كبيرة كان فى نفس القطار وهذا سر يقظة الجنود الأنجليز .

وصلنا إلى نهاية الرحلة ، تركنا القطار ، ووقفنا ننتظر السيارات التى تقلنا الى لبنان التف حولنا بعض الأخوة من أبناء فلسطين ، ولما عرفوا أننا من اليمن قدموا لنا زجاجات المياه الغازية تحيه منهم للأخوة العربية . قال أحدهم : أنتم الأمل لتحرير فلسطين من اليهود .. والأستعمار الأنجليزى .

كانت هذه أول مرة أسمع فيها كلمة الاستعمار اليهودى والأستعمار الإنجليزى كان اليهود يعيشون فى أمن وأمان واستقرار فى اليمن ، بل إن اليهود عندما جاءوا فارين من مخالب النسر الرومانى إلى البلاد العربية وجدوا من يرحب بهم ويفسح لهم مكاناً فى الأرض ليعيشوا معاً يبنون الحياة ، بالحب والتسامح والسلام فلماذا يتنمر اليهود اليوم ويعتدون على عرب فلسطين ؟ !

ولم أفهم ماذا تعنى كلمة استعمار ؟ وقلت :

— كيف تنتظر من طفل مثلى ذاهب ليتعلم فى لبنان ويعود إلى وطنه أن يحرر فلسطين لماذا لاتحررونها الآن وأنتم رجال ...
قال فى اصرار :

— نحن نقاتل اليهود والأنجليز معاً ونتمسك بأرضنا وندافع عن حقنا فى الحياة ولكن المعركة طويلة ولابد أن تكونوا جنود المستقبل .

وودعته وانصرفت لأركب السيارة التى تقلنا إلى لبنان . ومازالت كلمات الأخ الفلسطينى محفورة فى قلبى .

المعركة طويلة ولابد أن تكونوا جنود المستقبل للأمة العربية . أن زرع أسرائيل فى قلب الوطن العربى هو لون من ألوان التحدى الحضارى للأمه العربية وعليها أن

تتحضر إذا أرادت أن تكسب معركة تحرير فلسطين . وبوحدة الأمة العربية وقيادتها الواعيه تتحق الاهداف ...

وأريد بالحضارة هنا المعنى العلمى لها ، لامجرد ظواهرها .
الحضارة علم وفن أو كما يعرفها المؤرخ ول ديورانت « فى قصة الحضارة » : « بأنها نظام اجتماعى يعين الإنسان على الزيادة من انتاجه الثقافى »

* * *

فى مدينة صيدا ، أقمنا فى كلية المقاصد الإسلامية وعندما حان وقت تناول طعام الغداء حدث موقف طريف . فقد طلب إلينا تناول الطعام فى مطعم بسوق المدينة . وهنا توتر الجو إذ رفض كبار السن من أعضاء البعثة الانصياع لهذا الأمر ، على اعتبار أنه حط من قدرنا فان الذى يأكل فى مطعم باليمن يعد من « الرعاع » وحاول الأستاذ معروف سعد رحمه الله وهو المسئول عن كلية المقاصد الأسلامية بصيدا اقناع الطلبة بأن لبنان غير اليمن وأن العادات هنا تختلف عن العادات هناك وبعد جهد جهيد استطاع أقناع أعضاء البعثة الكبار بالذهاب إلى المطعم حيث تناولنا جميعاً طعام الغداء .

* * *

سافرنا إلى قرية « قرنايل » المصيف بجبل لبنان لقضاء فترة الصيف ، حتى تفتح المدارس أبوابها ، كانت قرية صغيرة يسودها الهدوء . وقد أقمنا فى فيلا واسعة بالقرب من فيلا « جميل بك بيهم » الذى كان المسئول المباشر عن البعثة اليمنية . ومرت الأيام على وتيرة واحدة لايعكر صفوها شيء ، حتى تزعم زميلنا عبد الله الكرشمى حركة للمطالبة بشراء طرابيش وحلل جديدة . وقد حاول جميل بك بيهم اقناعنا بأن الطلبة فى لبنان لايضعون الطرابيش على رؤوسهم ولكننا أصررنا على ارتداء الطرابيش أسوة بأساتذتنا المصريين فى اليمن وتمسكنا بالوعود التى قطعت .. بأعطائنا طرابيش عند وصولنا إلى لبنان .

أشترى لنا جميل بك بيهم حللا عسكرية .. وبعد محاولة أصلاحها لبسناها . كان منظرنا يدعو للسخرية والضحك فى آن واحد ، فقد كانت حللا من مخلفات الجيش الأمريكى ، وكانت واسعة جداً وقد تولت « خياطة » اصلاحها حتى تلائم أحجامنا الصغيرة . ضقنا بالحياة فى هذه القرية .. فوضع لنا برنامج لزيارة المصايف الأخرى مثل مصيف مدينة زحلة الجميلة . وهناك جلسنا على مقهى رائع الجمال والتقطت لى صورة وأنا أقود طائرة مصنوعة من الورق الكرتون . وأرسلت إلى والدى هذه الصورة مع رسالة أقول فيها : أننى فى غاية السعادة ولكنى متأثر جداً لسفرى دون أن أودعك فقد كنت أخشى أن تمنعنى من السفر فأحرم من إتمام دراستى .

فرح أبى برسالتى وراح يعرضها على رفاقه من الضباط وبعث إلى برساله جاء فيها :

ــ أن تعلم العلم الذى فيه خير وامتنع عن تعلم قيادة الطائرات .

رددت عليه برسالة شرحت له فيها حقيقة الأمر . وقلت له إنى أبذل غاية الجهد فى دراستى حتى أكون مواطناً صالحاً يخدم وطنه وأمته .

* * *

بدأت الدراسة . وانقسمت البعثة إلى مجموعتين الأولى التحقت بكلية التربية والتعليم بطرابلس [لبنان] ويشرف على هذه المجموعة السيد يحيى المضواحى .

والمجموعة الثانية والتحقت بكلية المقاصد الأسلامية بصيدا والمشرف على هذه المجموعة هو الأستاذ على الأنسى .

التحقت بالصف الأول الأبتدائى . والتحق زميلى محمد وجيه الجنيد

بالصف الثانى الابتدائى والسبب فى ذلك مشرف البعثة على الأنسى رحمة الله . ومن هنا بدأت متاعبى إذ كان فى الفصل أطفال صغار السن ، وكنت أشعر بالغبن لوجودى بينهم خاصة عندما كان المدرس يعلمنا مبادىء القراءة والكتابة .

وكان المدرس يسألنى هل فهمت ؟ فأحرك رأسى من أعلى إلى أسفل وذات يوم أستدعانى ناظر المدرسة إلى مكتبه ، فلما ذهبت إليه كان هناك الأستاذ معروف سعد رحمه الله نائب منطقة صيدا فى البرلمان اللبنانى ومدرس الفصل والأستاذ على الأنسى مشرف البعثة ، وسألنى الناظر : هل تفهم الدروس ؟ أجبت : نعم أنها دروس أطفال ولست أدرى السبب فى الحاقى بهذا الفصل . !

قال المدرس : إنى كلما سألتك هل فهمت الدرس تحرك رأسك من أعلى الى أسفل وهذا دليل على عدم فهمك .

قلت : بالعكس هذه إشارة تدل على أنى فاهم . وقدم لى الناظر جريدة النهار اللبنانية فقرأت الصفحة الأولى منها . فقال الناظر : ينقل إلى الصف الثانى . ولكن الأستاذ على الأنسى طلب أن أستمر فى الصف الأولى بحجة أنى صغير السن . ! ! ؟

كان معنا طالب لبنانى قادم من المهجر وكان أكبر منى سنا وأطول إقامة ، وكان يزعم أنه ضليع فى الحساب .

وفى امتحان نصف السنة . كتب المدرس أسئلة الأمتحان على السبورة وبدأت حل المسائل . وفجأة وقع نظرى على كراس زميلى فوجدت النتائج التى توصل إليها غير التى توصلت إليها فشطبت ماكتبته ، ورحت أنقل ماكتب وهو يساعدنى على ذلك بكل فخر .. وعندما سلمت الكراس للمدرس سألنى لماذا شطبت هذا الحل ؟ أجبت بصراحة وصدق : لقد حللت المسائل ولكنى أكتشفت أنها خطأ فنقلت من زميلى فهو أحسن منى فى الحساب .

ضحك المدرس وقال : إن حلك أنت هو الصواب وحذار أن تنقل من زميل لك مرة أخرى . قلت فى براءة الطفولة : لماذا وقد تعلمنا أن الحياة تعاون ؟

قال : نعم الحياة تعاون من أجل الخير . أما إذا نقلت من زميلك مايكتب فأنت تصادر ثمرة جهوده ، كن رجلًا واعتمد على نفسك .

وكان هذا درس أضيف إلى رصيد دروسى فى الحياة .. التعاون من أجل البر والتقوى والعمل الصالح لخير الفرد والمجموع .

ولما ظهرت نتيجة الامتحان أمر ناظر المدرسة بنقلى إلى الصف الثانى الابتدائى رغم معارضة مشرف البعثة الاستاذ على الأنسى رحمه الله

★ ★ ★

حينما جاء رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخورى ورئيس الوزراء رياض الصلح لزيارة مدينة صيدا خرج طلبة كلية المقاصد الأسلامية مع شعب المدينة لاستقبالهم استقبالًا حافلًا ، وكنا نحن طلبة اليمن ننشد نشيد : سيروا للمجد ونسير فى خطوات عسكرية منتظمة كما تعلمنا فى اليمن وقد أعجب أهل مدينة صيدا بنا وكان الطلبة اللبنانيون وجموع الشعب يرددون فى أسلوب غناء شعبى :

ياسوريـــا أنجبت رجـــــال أحــــيت فينـــــا الآمال
لولاك ولـــــولا رجـــــالك ماأخذنـــــا الاستقــــــلال

كانت هذه أول مظاهرة شعبية نشترك فيها ونعرف ماذا تعنى المظاهرة ...

★ ★ ★

قامت صداقة قوية بيننا وبين زملاءنا اللبنانيين . وأذكر أن زميلى أحمد قاسم

الطل كان له زميل لبنانى كنا نشاركه الطعام الذى ترسله إليه عائلته من منطقة النيطية . وذات يوم اقترح علينا زميلنا اللبنانى أن نقضى يوم الجمعة فى زيارة العاصمة بيروت ، ولكى كيف نذهب إلى العاصمة بيروت بملابسنا هذه ؟ عرض زميلنا أن يقرض أحمد قاسم الطل حلة [بدلة] من حلله وأرتديت أنا حلتى التى جئت بها من يمن [عدن] . غضبنا لما تصورناه أهانة لنا كيف نقترض حلة من زميل لبنانى .. ؟ حاول الزميل أن يفهمنا أن هذا شىء عادى جداً فى لبنان ولكننا لم نقتنع وقطعنا حبال الود التى تربطنا به لمدة أسبوع ثم عادت المياه الى مجراها بيننا وبينه من جديد بعد أن تأكدنا أن هذا شىء عادى ... !

* * *

ترددت الأنباء بأن الجيوش العربية ستذهب إلى فلسطين لتحررها من اليهود الذين جاءوا من كل فج عميق تدفعهم أسطورة الذهاب إلى أرض الميعاد ولينفذوا مخططا رهيباً فى هذه المنطقة الحيوية من العالم .

كان معروف سعد رحمة الله يقوم بتدريب المتطوعين من أبناء لبنان فى فناء المدرسة . وطلب منا التبرع بما يزيد عن حاجتنا من الثياب لإخوتنا من أبناء فلسطين واندفعنا نحن بنخوة الشهامة العربية نقدم ثيابنا ولكن الأستاذ معروف سعد أعادها إلينا من جديد .لقد شدنا منظر اخواننا أبناء فلسطين وهم قادمون على سفن شراعية صغيرة .. نساء .. وأطفال .. وشيوخ .. الأمل يحدوهم فى العودة إلى أرض الأباء والأجداد ... لقد تركوا أرضهم وديارهم بناء على وعد الحكام العرب الذين طلبوا منهم مغادرة بيوتهم لتتمكن الجيوش العربية من خوض معركة تحرير فلسطين ... إلتى تحولت إلى نكبة فلسطين . ! !

فى هذا الوقت قامت ثورة ١٩٤٨ فى اليمن .

وذات يوم سألنى الأستاذ على الأنسى :

ــ ماهى الصلة بينكم وبين بيت أبو راس ؟

أجبت : نحن من قبيلة واحدة تسمى قبيلة ذو محمد . وسمعت محمد بن حسن يقول لأبى ياخال لأن أمه من آل جزيلان ولاأعرف أى شيء .. فقد ولدت فى تعز .

فطلب منى أن أرسل لآل الوزير برقية تهنئة بقيام الثورة . دهشت لهذا الطلب فأنا طالب صغير السن لم يدخل ميدان السياسة بعد ، فلذت بالصمت فأعاد الطلب .

قلت : ياأستاذ الوزير لايعرفنى لصغر سنى ووالدى سيقوم بالواجب فهو مسئول كبير فى تعز ..

سكت .. ولكن معاملته تغيرت . فكان يعاملنى برفق شديد ! !

وبعد أيام انتكست الثورة ... أنتصر ولى العهد أحمد ودخلت أسرة حميد الدين إلى صنعاء كالغزاة الفاتحين فنهبت المدينة وخربت وشردت أهلها ..

ودعانى الأستاذ على الأنسى مرة أخرى وكان قلقاً مضطرباً ، وقال :

ــ هل سمعت ما حدث فى اليمن .

ــ قلت : نعم سمعت لقد قبضت أسرة حميد الدين على بيت آل الوزير ومن معهم . ولكن ماشأنى أنا بما يجرى فى اليمن من أحداث .

قال : أكتب برقية تهنئة للإمام الجديد أحمد فأنت تعرفه وهو الذى أرسلك ضمن أعضاء البعثة التعليمية .

قلت : ياأستاذ الإمام يعرفنى جيداً ، ولكن لماذا أكتب له برقية تهنئة وأنا مازلت طالباً فى المرحلة الأبتدائية .

كان الأستاذ على الأنسى يعتقد أنى رفضت أرسال برقية تهنئة لآل الوزير لأنى أحب ولى العهد أحمد وأظن أنه قد بعث ببرقيتين للتهنئة لآل الوزير وللأمام أحمد ولكن سرعة جريان الأحداث حالت دون وصول البرقيات للطرفين .. ! !

★ ★ ★

نجحت فى امتحان آخر السنة ، وكنت الثانى على الفصل وتسلمت شهادة النجاح وقد سطر عليها الأستاذ على الأنسى بضع كلمات يشكرنى فيها على مابذلت من جهود ويرجو لى دوام التوفيق . وقد فعل هذا بعد أن لاحظ شكر مدير كلية المقاصد فأحب أن يقلده ..

وتلقيت هدية النجاح من صديقى اللبنانى مروان شماع كتاب « ملوك العرب » تأليف أمين الريحانى ، وبدأت اقرأ هذا الكتاب الممتع بشغف الكبير ، وطلب الأستاذ على الأنسى أستعارة الكتاب فرفضت حتى أتم قراءته . فأرسل إلى زملائى على محمد عبده وعبد الرؤوف رافع وعبد الله الكرشمى يعرض شراء الكتاب بمبلغ كبير فرفضت كل العروض .

وذات يوم قابلنى الأستاذ على الأنسى وسألنى فى غضب : لماذا لاتريد بيع الكتاب ؟ وتفوه بكلمة نابية . !

وبدون تفكير وبكل مافى كيانى من قوة رفعت يدى وصفعته على وجهه . وانطلقت أجرى . وبعد أن هدأت أعصابى عرضت على زملائى فكرة بيع الكتاب للأستاذ على الأنسى فاستغرب الزملاء هذا التحول المفاجىء ولم يعرفوا أننى قد أرتكبت خطأ فى حق الأستاذ .

كنا فى ذلك الوقت نقيم فى قرية « قرنايل » المصيف الهادىء أثناء العطلة الصيفية .

كتب أحد الزملاء على حائط الفيلا التى نسكنها بعض كلمات هاجم فيها بعض الزملاء . وأتهم حسن السقاف وأودع الأسطبل جزاء مازعم أنه قد قام به من الكتابة .. حزنت على سجن زميلى فى الأسطبل وتحول الحزن إلى غضب ، ولكن مجرد الغضب عملى سلبى . وأنالابد أن أقوم بعمل إيجابى ليشعر المسئول عن البعثة بأننا نرفض هذه المعاملة غير الكريمة . حاولت التفاهم مع زملائى للقيام بعمل جماعى لكن محاولتى ذهبت مع الريح .

قابلت السيد يحيى المضواحى رئيس البعثة وقلت :

ـــ إن ماقام به الأستاذ على الأنسى من سجن زميلى فى الأسطبل عمل لايجوز ونحن أمانة فى أيديكم ولابد أن تحافظوا على الأمانة حتى ترد إلى أصحابها بعد أن يتزودوا بالعلم ويعودوا إلى وطنهم ليساهموا أسهاماً فعالا فى بناء مجتمعهم الجديد الذى نصبو جميعاً لتحقيقه .

قال : سأتحدث فى هذا الموضوع مع الأستاذ على الأنسى .

وعقدت إجتماعاً مع زملائى أعضاء بعثة تعز وقلت لهم :

ـــ نحن نلقى من المسئولين عن البعثة ... معاملة غير كريمة . وقد زادت هذه المعاملة سوءاً بوضع زميلنا حسن السقاف فى الأسطبل بدون ذنب ويجب وضع حد لهذه التصرفات التى جاوزت كل الحدود .

كان رد الأستاذ على الأنسى على هذا الاجتماع .. هو وضع زميلى محمد وجيه الجنيد هو الأخر فى الأسطبل ! وعدت أشكو للسيد يحيى المضواحى تصرف أستاذنا على الأنسى رحمه الله . ولكنه لم يحرك ساكنا ...

بدأت أفكر فى وضع خطة للهرب إلى سوريا أو العراق . ورجحت العراق فقد سمعنا الكثير عن هذا البلد الشقيق من العسكريين الذين تلقوا العلم هناك وبعض المدنيين القادمين من بغداد .

عرضت الفكرة على الزميلين حسن السقاف ومحمد وجيه الجنيد فرحبا بها . وكانت الخطة أن أرجو السيد يحيى المضواحى السماح للزميلين بصلاة الجمعة معنا أمام الفيلا ثم تناول طعام الغداء والعودة إلى الأسطبل بعد ذلك ، فوافق بعد التشاور مع الأستاذ على الأنسى وأذن المؤذن للصلاة ، وخطب الأستاذ يحيى المضواحى خطبة الجمعة ، وانتظمنا فى صفوف ، وكنا نقف فى الصف الأخير وعندما ركع المصلون ، سعلت كإشارة للزميلين كنا قد اتفقنا عليها ، وانسحبنا من الصلاة وجرينا فى اتجاه فندق قصر الصنوبر المجاور لنا . لم نكن نلتفت خلفنا خوفاً من أن يدركنا أحد من أعضاء البعثة ونعود .. إلى الذل والهوان من جديد . عبرنا الغابة ونزلنا من الجبل الى قرية فالوغة ووقفنا على الطريق نلهث ، وأقدامنا لاتكاد تقوى على حمل أجسادنا المتعبة .. ومرت سيارة أجرة فكانت كالقشة التى يتعلق بها الغريق . وسألنا السائق أن يحملنا إلى بيروت وبعد مساومة قصيرة على الأجر وافق . وأمام أول مسجد فى بيروت هبطنا من السيارة ، ودخلنا المسجد وأدينا صلاة العصر وسألنا إمام المسجد :

ــ كيف نستطيع أن نسافر إلى دمشق أو بغداد ؟
قال : هل معكم هوية ؟
قلت : ماهى الهوية !
قال : جواز السفر ضرورى لمن يريد السفر إلى خارج البلاد. كنا لانعرف أن التنقل من بلد عربى إلى بلد عربى اخر لايكون إلا بجواز سفر ولانعرف ماهو جواز السفر ..

كان عدم وجود جوازات السفر معنا أول عقبة نصادفها ، فى سعينا من أجل مغادرة لبنان . إذن فشلت جهودنا لنتخلص من الظلم فالجوازات محفوظة عند الرؤساء فى قرنايل . ولكن إذا كنا لم ننجح فى تحقيق أملنا فى السفر فلا أقل من

أن نرفع صوتنا للمسئولين فى اليمن بالشكوى من المعاملة السيئة التى نعامل بها من المشرفين على البعثة .. وأرسلنا إلى ولى العهد البرقية التالية :

« مولانا ولى العهد أحمد تعز
بعثة تعز تشكو سوء معاملة الرؤساء

المرسل بعثه تعز

كان موظف ادارة البرق كريماً ، شهماً فقد رفض أن ندفع رسوم البرقية وقال : إن هذا واجب يحتمه عليه الأخوة العربية التى تربط بين أبناء الناطقين بالضاد .

وبدأت أفكر فى التصرف الذى سيقدم عليه المشرف على البعثة عندما يكتشف هروبنا ..

وأستقر رأيى على العودة إلى قرية قرنايل ، ومطالبة جميل بك بيهم إعادتنا إلى أسرنا فى اليمن .

وعرضت الفكرة على زميلاى محمد وجيه الجنيد وحسن السقاف فرفضا الاستجابة لرأيى وقالا أنهما يفضلان الموت على العودة مرة أخرى إلى الذل ..

كنت مصراً على العودة إلى مقر البعثة فى قرنابل ، فقد كنت أخشى أثر وقع نبأ هروبى على أبى ؟

وماذا سيقول عنا الناس فى تعز ؟

حاولت أن أثنى زميلاى عن رفضهما العودة ، ولكنهما تشبثا بموقفهما فتظاهرت بالموافقه على رأيهما .
وقلت لهما : لماذا لانذهب لمشاهدة السينما بحمدون ؟

وافقا . وركبنا السيارة إلى المصيف الجميل بحمدون ، وبعد تناول طعام العشاء فى مطعم فاخر قلت للزميلين : أن مصيف حمانه قريب من هنا فلماذا لانذهب لحضور مايسمى بالعرض المسرحى .

بعد معارضة قصيرة من زميلى حسن السقاف تمت الموافقة على الذهاب إلى مصيف حمانه وبدأنا نقترب من قرنابل مقر البعثة ..

وبينما كنا فى الطريق قلت لهما :

ــ لقد بعثنا ببرقية لولى العهد نشكو فيها رؤساء البعثة . ويجب أن نعود إلى قرنايل وننتظر الرد خاصة وأن مامعى من النقود بدأ ينفد .

وسرنا حتى أصبحنا على مشارف فالوغا وهى قرية جميلة [مصيف] وكان الليل قد أرخى ستائره ، وسمعنا وقع حوافر جياد .. مختلطة بأصوات .. فانطلقنا نجرى نحو الجبل ، ومن بين أشجار الصنوبر ، شاهدنا جنود الدرك اللبنانى ويسمونهم ــ حراس الغابة ــ وبعد أن توارت الجياد عن أنظارنا نزلنا من الجبل ونحن نرتجف من الخوف .. والتعب .. ووقفنا أمام باب أحد الفنادق فى تردد ثم دخلنا . وقلت لصاحب الفندق :

ــ نريد غرفة لثلاثة أفراد .

قال : أين هوياتكم ؟

وقعت علينا هذه الكلمة كالصاعقة ، وصمت .

ثم قلت : نحن طلبة من حيفا . وقد طردنا اليهود من مدينتنا ولذلك فليس معنا هويات .

تردد الرجل قليلًا ثم قال :

— تعالوا معى إلى الدرك [الشرطة]
قلت على الفور : هيا بنا !

كنت قد فكرت فى الهرب لحظة خروجنا من باب الفندق والعودة إلى الغابة لنقضى الليلة هناك بين أشجار الصنوبر . وتفرس الرجل فى وجوهنا ..

وقال : كم ستقضون هنا .
قلت : ليلة واحدة فقط .
قال : لامانع إذا كنتم ستقضون ليلة واحدة فى الفندق . أرشدنا الخادم الى الغرفة ، وألقيت بجسدى على الفراش ولكن النوم جفانى ودعوت الله أن يجرنا من آفات الغفلات كما كانت تقول أمى عندما يحدث شىء يكدر صفو الحياة . وفى الصباح دخل الغرفة خادم الفندق وهو يحمل طعام الافطار وماكاد بصرى يقع على الصينية الكبيرة حتى صرخت : لانريد إفطاراً
قال : الافطار إجبارى
قلت : ياأخى شبعانين ولانريد طعاماً .

قال الخادم السورى الجنسية : أن الافطار إجبارى وقد دفع ثمنه .
وماكاد هذا الرجل النبيل يتفوه بهذه الكلمات حتى انقض زميلاى على الطعام انقضاض النسر على فريسته . وضحك الرجل . وقال :

— اذا كان اليهود قد طردوكم من بلدكم حيفا ، فلا تيأسوا . فأنا أؤكد لكم أنكم ستعودون حتماً إلى أرضكم .

شكرنا الرجل على مشاعره النبيلة . وتركنا الفندق قبل شروق الشمس ..

اتصلت تليفونيا بجميل بك بيهم ، فرد متسائلا :
— أين أنتم ؟
أجبت : نحن فى قرية فالوغا .

قال : سأرسل لكم سيارتى لاحضاركم .
قلت : لانريد سيارة بل نريد جوازات سفرنا لنعود إلى بلادنا .
قال : حاضر . تعالوا وأنا أعطيكم ماتريدون .
سرنا على أقدامنا فى اتجاه قرية فرنايل ، وعند مشارف القرية ، شاهدنا أعضاء البعثة يتجهون صوب ملعب الكرة ، فلما وقعت أنظارهم علينا توقفوا عن السير وقلت لزميلاى حسن السقاف .. ومحمد وجيه الجنيد أنشدوا :

بلادى .. بلادى فداك دمى .
ورددنا النشيد لنبث الشجاعة فى نفوسنا .. وذهبنا إلى فيلا جميل بك بيهم فوجدنا هناك السيد يحيى المضواحى والأستاذ على الأنسى ، وبعد أن القينا عليهم تحية الصباح قلنا لهم : نريد جوازات السفر .

قال جميل بك بيهم : حاضر ياأولادى ، الآن اذهبوا للراحة وغداً أجهز لكم جوازات السفر . واستطرد يقول : لماذا ياأولادى تصرفتم هذا التصرف ؟

أجبت اسأل الأستاذ على الأنسى فنحن أطفال أمانة فى عنقه وقد تركنا أهلنا من أجل العلم ولكنه أساء معاملة زميلاى .

قال بتأثر شديد : أنا مسئول عنكم ياأولادى .
قلت : كنت أعلم أن المسئول عنا هو السيد يحيى المضواحى أردت أن أكسبه إلى صفنا ولكن زميلى محمد وجيه الجنيد قاطعنى صارخاً : هو أيضاً ظالم .

رد جميل بك بيهم رحمه الله : لاتحزنوا ياأولادى وسأعمل مافيه رضاكم ومصلحتكم والآن اذهبوا الى منزلكم لتستريحوا .

وفى الصباح استدعانى السيد يحيى المضواحى وسألنى عما فعلنا فى بيروت ؟

فأجبت بأننا أرسلنا برقية لولى العهد أحمد نشكو من سوء المعاملة التى

نلقاها من الجميع .. فلما أراد أن يعرف نص البرقية أخبرته أن زميلى حسن السقاف هو الذى حررها فأذن لى بالانصراف . واستدعى زميلى حسن السقاف الذى أخبره بدوره أن محمد وجيه الجنيد هو الذى كتبها .. فجمعنا نحن الثلاثة لمواجهتنا ببعض فقلت له ·

ـــ سأقول لك نص البرقية لقد شكونا الأستاذ على الأنسى لمعاملته غير الكريمه لنا .

فبدا عليه الارتياح وانصرفنا .

★ ★ ★

حضر ممثل اليمن فى القاهرة السيد على المؤيد اجتماع الجامعة العربية فى مصيف بحمدون والتقى هناك برؤساء البعثة التعليمية الذين أوحوا إلى أعضاء بعثة تعز فى طرابلس أن يشيدوا بالمعاملة الكريمة التى يلقاها الطلبة من المشرفين على البعثة عند مقابلتهم لممثل اليمن . وتمت اللعبة واستدعانى السيد يحيى المضواحى وعرض على أن مقررى الشهرى بشرط أن يبقى هذا الأمر سراً لأنه قرر عدم اعطاء زملائى مقرراتهم الشهرية عقاباً لهم على مافعلوه ، وحتى يكون هذا الجزء رادعا بالنسبة للآخرين ..

رفضت هذا العرض وطلبت منه أن يسلمنا مقرراتنا الشهرية وجوازات السفر لنعود إلى اليمن قال : ـــ

ـــ إن شاء الله نعمل لكم اللازم .
وعدت إلى زملائى وأخبرتهم بما حدث .

أقام السيد على المؤيد فى فندق قصر الصنوبر فى فرنايل ، ودعا إلى مقابلته محمد وجيه الجنيد وحسن السقاف وكاتب هذه السطور . وعندما دخلنا غرفته

وجدنا الأستاذ على الأنسى يجلس على مقعد بجواره وقد أرتسمت على وجهه علامات الغضب . قال السيد على المؤيد :

ماذا حدث ياأولادى ؟

أنخرطنا فى البكاء نحن الثلاثة وقلنا فى وقت واحد : نريد العودة إلى أهلنا .

قال : كفوا عن البكاء حتى أعرف ماذا حدث ؟
قلت : كيف تريد أن تعرف ماحدث لنا والأستاذ على الأنسى موجود معنا .

طلب السيد على المؤيد من الأستاذ على الأنسى مغادرة الغرفة فلما تردد صرخ فى وجهه : أخرج من هنا .

شعرت بالألم يعصر قلبى لما لحق بأستاذنا من إهانة .
قال : الآن أريد أن أعرف ماذا حدث ؟
رويت له ماوقع لنا من أحداث ومالقينا من معاملة غير كريمة من الجميع ..
فقال : ــ أنا ياأولادى أعرف كل ماحدث لكم فقد كنت المسئول عن التعليم فى صنعاء قبل قدومى إلى مصر . وسأتحدث إلى المشرفين عن البعثة لكى يحققوا لكم جواً عائلياً هادئاً لتواصلوا دراستكم وأنتم فى أمان من كل مايكدر صفو حياتكم . وأنى أوصيكم ياأولادى (بالاهتمام) بدراستكم فأنتم طلائع الأمل فى بلادنا ..

صمت لحظة . ثم سألنى : ماهى صيغة البرقية التى بعثتم بها للإمام أحمد ؟

قلت : طلبنا من الإمام أن يعهد إليكم بحل مشاكلنا .
انفرجت أساريره وابتسم وقال :

ـــ اذا أردتم أى شيء فاكتبوا إلى

قدمنا له الشكر وخرجنا نحن الثلاثة لنواجه السيد يحيى المضواحى الذى سألنا عما دار بيننا وبين السيد على المؤيد رحمه الله . فأجبت على الفور :

ـــ لقد طالبنا أن تكون أنت وحدك المشرف على البعثة .

ابتسم ابتسامة عريضة وقال : أنتم جميعاً أولادى .

★ ★ ★

اتفق رؤساء البعثة مع أساتذة من كليه المقاصد الأسلامية بصيدا وكلية التربية والتعليم بطرابلس [لبنان] على أن يتولوا تدريس منهج السنة القادمة للطلبة اثناء أجازتنا الصيفية فى قريه قرنايل ، وعلى الرغم من أنى وزميلى محمد وجيه الجنيد كنا فى الصف الثانى الإبتدائى . فقد أصر الأستاذ على الأنسى رحمه الله على أن نتلقى الدروس مع بقية الطلبة . ! !

وقد أقبلنا على الدراسة بعقول متفتحة وقلوب واعية بفضل تشجيع أساتذتنا من لبنان .

ابتدأت الدراسة وتقرر أن يلتحق جميع أعضاء البعثة بكلية التربية والتعليم فى طرابلس . وعقد لنا امتحان لتحديد الصف الملائم لكل طالب ، وقد نجحت نجاحاً باهراً ، ولكن رغم هذا النجاح صممت على أن ألتحق بصف أدنى حتى لايغضب الأستاذ على الأنسى ..

كنت قد رسمت فى خيالى صورة جميلة لمدينة طرابلس من خلال الرسائل التى كان يبعث بها زميلى محمد عبد العزيز سلام . وكذلك زميلى على محمد عبده والأخرين ..

فلما ذهبت إليها وجدتها فى الحقيقة أروع من الخيال .. فهى تقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ـــ كمدينة صيدا .. بها حدائق غناء وشوارعها نظيفة واسعة وبيوتها أنيقة وشعبها طيب كريم ـــ كشعب صيدا .

شعرت بالسعادة وأنا أدرس فى كلية التربية والتعليم مع زملائى الكبار فى السن وزملاء الطفولة والجوار فى تعز . وكنت أبذل كل جهدى من أجل التفوق فى دراستى وان كنت أخاف الرياضيات

* * *

وذات يوم من أيام شهر رمضان المبارك ، كانت البعثة فى زيارة منطقة حيرة الأثرية . وسأل رئيس البعثة السيد يحيى المضواحى :

ـــ من يستطيع أن يذهب ليشترى تمراً للإفطار قبل أن تجف هذه [النقة] ؟ [عادة يمنية لسرعة إجابة الطلب]

قلت : أنا

وضع فى يدى « روبية » أخذتها وهرولت إلى البائع واشتريت كمية من التمر وعدت إلى المكان الذى تركت البعثة فيه فلم أجد أحدا . ! ! وقفت حائراً ماذا أفعل وأنا غريب وطفل فى هذا البلد . شعرت بالخوف فقد تذكرت ماكنت أسمعه فى تعز من أن فى عدن جماعة تسمى « الجبرت » تخطف الأطفال وتطعمهم التمر حتى تحمر خدودهم ثم يعلقون من أرجلهم ويضرب مسمار فى رؤوسهم لينزف الدم الذى يدخل فى تركيب الذهب . بكيت . وسرت وأنا لاأعرف إلى أين تقودنى قدماى . وجدت نفسى أمام عدد من العربات التى تجرها الخيول [القارى] . فقلت هامساً :

ـــ لقد جئت بقدميك إلى الجبرت وتساءلت : ماذا أفعل وأنا خائف وصائم وغريب . كان التمر فى يدى وآذان صلاة المغرب يسمع فى كل مكان ، ولكن يدى لم تمتد إليه . كان التمر أمانة وقد علمتنى بيئة تعز الصبر والأمانة ،

والمروءة ، والتضحية ، ومقاومة الظلم . ومحبة الآخرين ، والوفاء .. وكثير من الخصال الحميدة .. رأيت شاباً قمحي اللون فسألته فى حذر وخوف : أين مقهى زكوة ؟

قال : من أين أنت قادم ؟
زاد خوفى قلت له : من تعز
وسرنا معاً وكلى حذر وخوف ، وماكاد بصرى يقع على مقهى زكوة حتى أندفعت كالصاروخ مسرعاً نحوها .

فوجدت عبد العزيز الحروى رحمه الله فسعدت برؤيته سعادة غامرة . وقلت له ماحدث .

فأبدى تأثره الشديد ، وأعطانى خمس روبيات لأستأجر سيارة تقلنى الى مقر البعثة بجبل حديد .

وفيما أنا أتجاذب معه أطراف الحديث أقبل زميلى وجارى محمد أحمد نعمان رحمه الله وعرف القصه فصحبنى إلى بيته وهناك قابلت الأستاذ نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيرى فقص عليهما زميلى محمد أحمد نعمان ماحدث لى فطلبوا منه أن يستأجر سيارة لتوصلنى إلى جبل حديد .

ركبت السيارة التى طوت الأرض ، وعند باب السلب طلبت من السائق الوقوف وهبطت من السيارة حتى لايرانى أحد المشرفين على البعثة .. ومشيت على قدمى أقطع مابقى من الطريق حتى أصل إلى المدرسة فى قمة جبل حديد ، وأثناء السير سمعت نباح الكلب الذى يحرس المدرسة فكأنى أسمع أعذب قطعة موسيقية يعزفها موسيقار موهوب — رغم عقدتى من الكلاب فقد أوشكت رحلة العذاب على النهاية ، ووقفت أمام باب المدرسة وبكيت وجاء صديقى محمد عبد العزيز سلام يحتضننى وهو يبكى .

أما بقية البعثة والمشرفين فقد ذهبوا جميعاً إلى السينما ! !

عاد مشرف البعثة من الخارج .. فقدمت له التمر وباقى الروبية [العملة المتداولة فى ذلك الوقت فى عدن والهند] فأخذها وسألني : لماذا تأخرت ؟ ! فأخبرته بماحدث .. يبدو أنه شعر بالخطأ لأنه ترك طفلًا .. هو مسئول عنه بدون عناية ورعاية .. كان الشعور باللا مسئوليه هو السائد فى اليمن فى ذلك العهد . كل مسئول يقول :

ـــ أنا وبعدى الطوفان . لم يكن هناك احساس بالانتماء الى الوطن أو الولاء للشعب .

صدرت تعليمات بسفر البعثة إلى القاهرة . أخيراً . تحقق حلم حياتى أن أدرس فى القاهرة شعاع الحرية ومصدر العلم وملتقى العرب ..

كانت مشاعر الفرح مختلطة بمشاعر الحزن لفراق زملائى الذين بدأت معهم رحلة الاغتراب من أجل العلم ومن أجل رفع شأن بلادنا وأمتنا ...

أبحرت الباخرة الفاخرة من ميناء بيروت ، قاصدة الإسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط ... كان الجو رائعاً ، والسماء زرقاء صافية ، والبحر ساكنا فالتقت زرقة السماء وزرقة الماء فبدت كأنها لوحة رائعة أبدعتها ريشه فنان عبقرى .

ولكنى لم أستمتع بهذه الرحلة الجميلة ، فقد كنت نهباً للهواجس والظنون ماذا سيأتى به الغد ؟

هل ستظل معاملة الأستاذ على الأنسى كما هى سيئة ، أم ستتغير إلى الأفضل ؟

هل سأعود الى الصف الثالث الإبتدائى بحجة أنى صغير السن ! ؟ لمن ألجأ .. ؟ للسيد على المؤيد وكان معنا بقلبه ومشاعره فى التجربة المريرة التى مررنا بها ..

مهما يكن من شيء فقد نسيت همومى عندما رست الباخرة فى ميناء الاسكندرية . وبدأت بانوراما المدينة الساحرة تبدو أمامى فى صورة رائعة الجمال .. لقد شممت عبق التاريخ .. وروعة الماضى .. وسحر الحاضر وأنا أرى فنار الأسكندرية وأتطلع إلى المبانى الأنيقة المطلة على كورنيش البحر فى إتقان بديع ...

ركبنا السيارات التى أخذت تطوى الطريق الصحراوى طياً . حتى وصلنا إلى مدينة بنى سويف حيث التحقنا بمدرستها .

قال ناظر المدرسة للأستاذ على الأنسى :

ـــ لابد من أجراء امتحان للطلبة حتى نحدد لكل منهم الصف الدراسى الذى يلتحق به حسب قدرته . لقد كان رجلا فاضلا ـــ رحمه الله ـــ

كانت ثقافتى قد اتسعت وتنوعت بما قرأت فى الصحف والمجلات اللبنانية ، وسلاسل الكتب مثل أعلام الحرية التى كانت يحررها الأستاذ قدرى قلعجى ومنها كتب : سعد زغلول ، غاندى ، محمد عبده ، جمال الدين الأفغانى ، صن يات صن .. وكنت أستعير كتب جبران خليل جبران من زميلى محمد أحمد الرعدى ..

وقد نجحت بتفوق فى هذا الإمتحان ، وقال ناظر المدرسة أنى سألتحق بالصف الأول الثانوى مع الزملاء محسن العينى ومحمد أمين غالب ومحمد قايد سيف الذى التحقوا بالبعثة فيما بعد ، وغيرهم .

ولكن الأستاذ على الآنسى رحمه الله وسامحه ـــ قال :

ــ ان عبد الله جزيلان صغير السن ويحسن أن يكون مع باقى زملائه فى الصف الرابع الابتدائى حتى يشتد عوده .

قال الناظر : ان مستواه العلمى ممتاز وأنا أتنبأ بأنه سيتخرج من الجامعة وهو فى السابعة عشر من عمره . فلا تحرمه من هذه الفرصة .

تدخلت فى الحوار قائلا : أريد أن أكون فى الصف الرابع الإبتدائى مع زملائى .

قال الناظر : يابنى أنت جدير بأن تكون فى الصف الأول الثانوى .

قلت : أرجو أن تلبى طلبى . وكنت أحب أن أكسب الأستاذ على الأنسى الى صفى لكى ينسى الماضى . وافق الناظر على إجابة طلبى . وبدأت أدرس فى مدرسة بني سويف الابتدائية كان معنا فى المدرسة السيد يحيى الكبسى الذى انضم أخيراً إلى البعثة وكان الأستاد على يتقرب إليه بشكل سافر على اعتبار أنه قريب الأسرة الحاكمة ولكن زميلنا يحيى الكبسى كان يضيق بهذا الود الزائف .. وكان يلاحظ نفورنا جميعاً من تصرف الأستاذ على الأنسى رحمه الله ..

فى حلوان .. كانت مرحلة الدراسة الثانوية . كانت فترة من حياتنا خصبة ، عامرة بالعمل الإيجابى ، الذى يمكن أن يكون ارهاصاً لما قام به شباب اليمن سواء فى الشمال أو الجنوب بعد ذلك من أعمال من أجل تحرير اليمن من الطغيان والفساد والظلم فى الشمال أو من الاستعمار البريطانى فى الجنوب ففى سنة ١٩٥٠ تم تشكيل مجموعة تمثل وحدة التراب اليمنى . من أعضاء البعثة القادمة من سلطنة لحج وهم فيصل عبد اللطيف الشعبى [قيل أن ينضم إلى القوميين العرب » وفضل خالد مصور وغيرهما .

ومن أبناء الشمال عبد العزيز الفتيح وعبد الرحيم عبد الله وكاتب هذه السطور

كانت أحلامنا كبيرة ... إذ كنا نستهدف تحرير وطننا من كهنوت

الشمال ، والمغتصب فى الجنوب ، ونمضى به قدماً نحو التقدم والرقى ... والسيادة .. وقد اتسعت هذه المجموعة فشملت الكثير من الزملاء ..

ولكن هذه قصة أخرى ، وسأرويها للقارىء العزيز فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

الفصل الرابع

حوار مع ولدى ...

ولدى ... واحد من طلائع الجيل الجديد فى بلادى ،يسألنى فى براءة

ـــ لماذا تكتب هذه الذكريات ... لقد ذهب الماضى بغير رجعة ، ونحن نتطلع إلى الغد ؟

قلت :

ـــ ياولدى .. أريد من الشباب أمثالك أن يأخذوا من الماضى عبرة وعظة ، فالتاريخ هو ذاكرة الجنس البشرى ... والترقى الإنسانى سبيله أن يبنى الخلف على آثار السلف ، مما لايتأتى فى عالم الحيوان ، وإنما هو يتم فى عالم الانسان فقط .

والشعب الذى لاتاريخ له ، كالنباتات الطفيلية ، شعب بلا جذور ، تعصف به الرياح ، فتصبح كعصف مأكول . أما الشعب الذى له جذور ضاربة فى أعماق

التاريخ ، فهو الشعب القوى الذى يواجه الأزمات بروح قوية وفكر متفتح ، وارادة صلبة ، وينتصر عليها ، ويخرج من أتون الأزمات أنقى جوهراً ، وأصلب عوداً ، وأقوى شكيمة ، وشعبنا العربى على امتداد الوطن العربى الكبير من المحيط إلى الخليج كان على مر التاريخ كياناً عربياً واحداً ، فعندما خرج العرب من جزيرتهم إلى أرض الوطن العربى الكبير ، كانت لهم رسالة نبيلة . ومبادىء قويمة يدعون اليها .

جاءوا من أجل تحرير شعوب هذا الوطن من الاستعمار الفارسى والبيزنطى . ولذلك استقبلتهم الشعوب كمنقذين محررين ، وآمنت بدعوتهم ، وتكلمت بلغتهم ، وشاركت فى بناء حضارتهم .

ونتج عن هذا الإندماج الكامل نشوء كيان عربى قوى لم تستطع النكبات التى دهمته فيما بعد أن تحطمه أو تقضى عليه.

لقد تجزأ . الكيان العربى إلى حكومات مستقل بعضها عن بعض ولكنه لم ينفصم قومياً وثقافياً وحضارياً ونفسانياً .

كانت التجزئة السياسية سطحية لأن الشعب العربى كان ينظر إليها على أنها حالة عرضية مؤقتة .

ورغم غارات المغول والصليبيين وحكم الأتراك والإستعمار البريطانى والفرنسى والإيطالى ، يقى العرب عرباً فى لسانهم وفى قلوبهم .

لقد كشف الشعب العربى الحكم العثمانى وقاومه برغم التحايل عليه بأستار الخلافة الأسلامية .

ثم قاوم الشعب العربى الإستعمار البريطانى والفرنسى والإيطالى مقاومة باسلة عنيدة جرفت أمامها بعد سنوات طويلة من التضحيات متخطية كل

الحواجز التى أقامها الاستعمار على الأرض العربية لحماية وجوده وحصلت على النصر .

إن قطعة عزيزة غالية من الأرض العربية فى فلسطين قد منحت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية ارادها المستعمر لتكون سوطاً فى يده يلهب به ظهر النضال العربى ، كما أرادها المستعمر فاصلاً يعوق امتداد الأرض العربية ، يحجز المشرق عن المغرب ثم أرادها عملية امتصاص مستمر للجهد الذاتى للشعب العربى تشغله عن حركة البناء الإيجابى .

تساءل ولدى قائلا :
ــ ولكن ماهو السبيل إلى حل هذه المشكلات التى تواجه الأمة العربية ؟
قلت :

ــ الوحدة العربية . والوحدة العربية ليست حلماً يراود العقول أو حماسة مفتعلة تفرض على المشاعر ، وأنما هى وجود حقيقى كامن فى النفس العربية ، هى واقع مطبوع على أرض العرب ومسجل فى تاريخهم .

والأمة العربية حين تجند عزائمها وتحشد قواها لإستعادة شملها ، لاتصطنع المبررات والذرائع ، وإنما تعود .. إلى طبيعة الأشياء ، فقد كانت الأمة العربية فى السابق أمة واحده تنعم بالرخاء الاقتصادى ، وتتمتع بالعزة السياسية والقوة العسكرية .

كانت مشعل حضارة ومنبع ثقافة .

وهى لاتريد اليوم سوى استعادة ماكانت تملك . إنها تلتمس فى وحدتها علاجاً لكل مشاكلها الإقتصادية والاجتماعية والثقافية .

إن وحدة الوطن العربى هى وحدة الجسم الواحد. هى واقع طبيعى وبشرى وهى ضرورية حياتية. نحن نعيش فى عصر الكيانات الكبيرة، وإذا كانت الدول

الأوربية رغم تباين لغاتها، واختلاف مصالحها، قد جمعت كلمتها ولمت شملها فى منظومة واحدة هى البرلمان الأوربى. ألا يجدر بنا نحن العرب، ولغتنا واحدة، ومصلحتنا مشتركة. وتاريخنا واحد وكفاحنا واحد، وحضارتنا واحدة.. وتربطنا وحدة الآمال والألام، أن نجتمع على كلمة سواء، ونزيح هذه الحدود المصطنعة التى أقامها الأستعمار ــ وحرسها الحكام ــ ونعود كما كنا كياناً عربياً واحداً.

وقد قامت الحركات الوطنية فى مختلف الدول العربية هادفة إلى تدعيم الروابط فيما بينها، وظلت فكرة الوحدة العربية أملًا يراود الجماهير العربية العريضة، تسعى إلى تحقيقه بمختلف الأساليب، متخطية العقبات التى يضعها الأستعمار ولئن كان الأستعمار قد نجح فى إعاقة تيار الوحدة العربية الجارف وفى اقامة الأنظمة التى تسانده فى تحقيق أغراضه فى تشتيت الأمة العربية وفى خلق المتناقضات

وأسباب الخلاف وعناصر الصراع بين الفئة الحاكمة وفى كل دولة وشعبها أو بين الحكومات المختلفة وبعضها. لئن كان ذلك كذلك، فأن فكرة الوحدة العربية ظلت مسيطرة على جماهير الشعب العربى فى كل مكان.

والهدف الذى من أجله قدم التضحيات، وقام بالثورات.

أن مايدمى القلب أن تستورد الأمة العربية طعامها. وهى تعيش فى أخصب مناطق العالم. ويتم أستيراد الحبوب أساساً من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا وإلى حد ما السوق الأوربية المشتركة!! والبلاد الثلاثه الأولى هى البلاد الرئيسية التى تسيطر على تصدير القدر الأكبر من الحبوب إلى مختلف بلاد العالم الرئيسية المستوردة، وهذه البلاد المصدرة جميعاً بلاد متطورة جداً اقتصادياً ويمكنها إذا أرادت أن تتكتل فى احتكار قوى يتحكم كمايشاء فى صادراته من الحبوب الى مختلف المناطق العالمية أو البلاد المستوردة لكميات كبيرة من الحبوب. [تماماً كمادة البترول]

ويلاحظ ضخامة الاستيراد العربى من الحبوب الغذائية واطراد زيادته عاماً بعد آخر، وانحصار هذا الاستيراد فى عدد محدود جداً من البلاد التى تسيطر عالمياً على تصدير الحبوب.

لم تعد مشكلة الغذاء العربى مشكلة اقتصادية بل إنها أصبحت مشكلة سياسية بالدرجه الأولى، فالحقيقة التى لاشك فيها هى أن الوطن العربى أصبح يعتمد فى نحو نصف غذائه الأساسى على ماتصدره إليه البلاد الثلاثة المذكورة المصدرة للحبوب. وهو لايمكن حالياً الاستغناء عن أية كمية من وارداته من الحبوب منها، وهى على النقيض تسيطر تماماً على تصدير الحبوب إليه.

وتسألنى ياولدى عن حل هذه المشكلة الكبرى، فأجيب:
أن حل هذه المشكله يأتى عن طريق:

ـــ أسهام جميع الدول العربية إسهاماً عينياً فى تنفيذ مشروعات التوسع الزراعى بحيث تسهم كل دولة عربية بحسب مواردها، وطاقاتها الانتاجية.

فالدول ذات الطاقات الأرضية الزراعية وموارد المياه يتم فيها توسيع الطاقات الانتاجية الزراعية. والدول البترولية تتخصص فى انتاج الجرارات والأسمدة والآلات الزراعية، والمبيدات وغيرها من مستلزمات الأنتاج.

ـــ قيام المشروعات الغذائية على أساس اقتصادى وتدخل فى ذلك المشروعات المكملة لتسويق التخزين ونقل الحاصلات.

ـــ التوسع فى أنتاج القمح إلى أقصى ماتسمح به الامكانات الفنية والاقتصادية فى حزام القمح العربى الذى يضم العراق وسوريا والجزائر والمغرب والسودان. وذلك بسبب أهمية القمح الاستراتيجية بين الواردات الغذائية العربية من جهة، وبسبب مستقبل القمح العالمى الذى يتحدد المعروض منه بمحدودية حزام القمح العالمى وأنتاجيته، بينما يزداد عليه الطلب بصورة مستمرة خصوصاً

من جانب الدول النامية والواقعة فى خارج حزام القمح من جهة أخرى.

ـــ ومايقال عن القمح يقال عن انتاج المواد الأخرى كذلك تربية المواشى لسد حاجة عالمنا العربى من اللحوم.

ويسألنى ولدى:

ـــ ماهو الفرق بين العميل وبين الوطنى؟

أجبت: أنهما نقيضان لايجتمعان. العميل هو الذى يخون وطنه وشعبه يستعين عليهما بقوى خارجية ليبقى له سلطانه ونفوذه فى مقابل أن تنهب هذه القوى الخارجية ثروات ومقدرات شعبه وتكون أرض وطنه نقطة ارتكاز لهذه القوى، لمد نفوذها وبسط سيطرتها على مناطق أخرى.

والعميل كالحرباء يتلون بتغير الظروف ، أنتهازى كالنباتات المتسلقة ، يحاول خداع الجماهير ، ولكن القناع يسقط عن وجهه وتظهر حقيقته للجماهير .

من حق جيلكم ياولدى أن يعرف الماضى. ليعيش الحاضر بمفهوم عميق وينظر إلى المستقبل بنظرة علمية خالية من الخيال.

أن تقدير الاباء الذين عاشوا الماضى. وحاولوا أن يمهدوا طريق المستقبل لمن بعدهم.. أعطوا الكثير: المال والصحة والحياة. سجنوا شردوا قتلوا من أجل أن يأتى جيل جديد والطريق ممهد له. أقول إن تقدير الأباء حق لهم وواجب على الأبناء

هل تعلم ياولدى أننا عشنا فى أرض اليمن السعيدة أرض الديمقراطية [الشورى] ونحن لانعرف ماهى الكهرباء وماهى السينما، وماهو التليفون وماهى الطرق المرصوفة وتلاحظ ياولدى أننا قد أخترنا من ثلاث مدن رئيسية فى اليمن صنعاء العاصمة وتعز العاصمة الثانية والحديدة ثغر اليمن لقد بهرنا بكل شىء. كل شىء جديد علينا هكذا كانت بلادنا معزولة عن العالم فكيف حال من يعيش

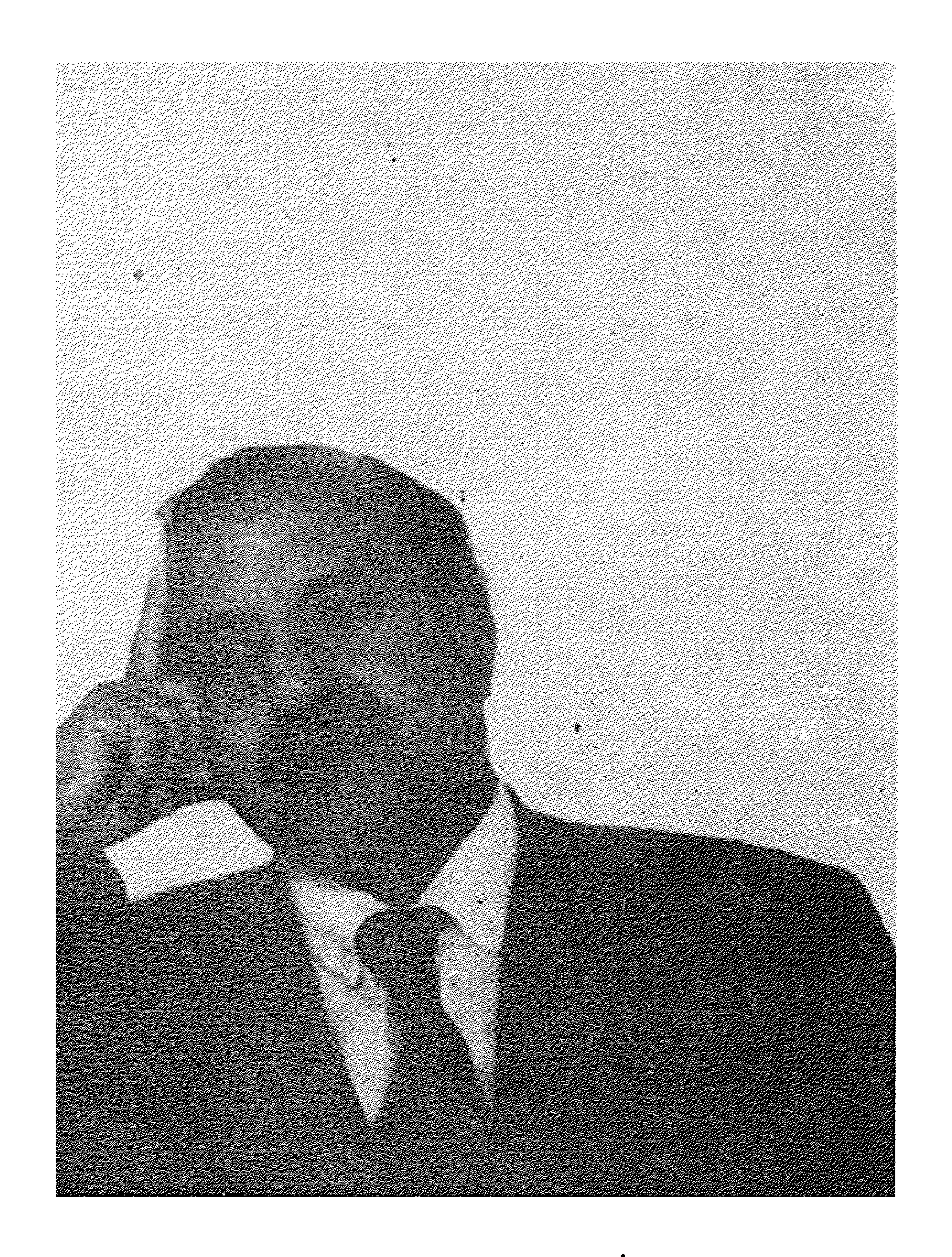
في القرى البعيده!؟

لقد حاول الجيل الذى قبلنا أن يقدم الكثير ليخلص بلادنا من التخلف والظلام الرهيب. وعلينا احترامهم وأجلالهم فلم يقفوا صامتين بل كافحوا وناضلوا حتى أوصلونا إلى أول الطريق ولولا كفاحهم ونضالهم ماوصلنا إلى مانحن فيه واذا تنكر كل جيل لمن سبقه من الأجيال فهو بهذا يتنكر للجميل ولايعترف بالوفاء ويساعد على قتل روح الكفاح عند المخلصين والشرفاء وبدون الاعتراف لمن سبقونا لن تتقدم البلاد ، ويكثر الأنتهازيون . وحملة المباخر .. وعلى الحرية والوطنية السلام ..

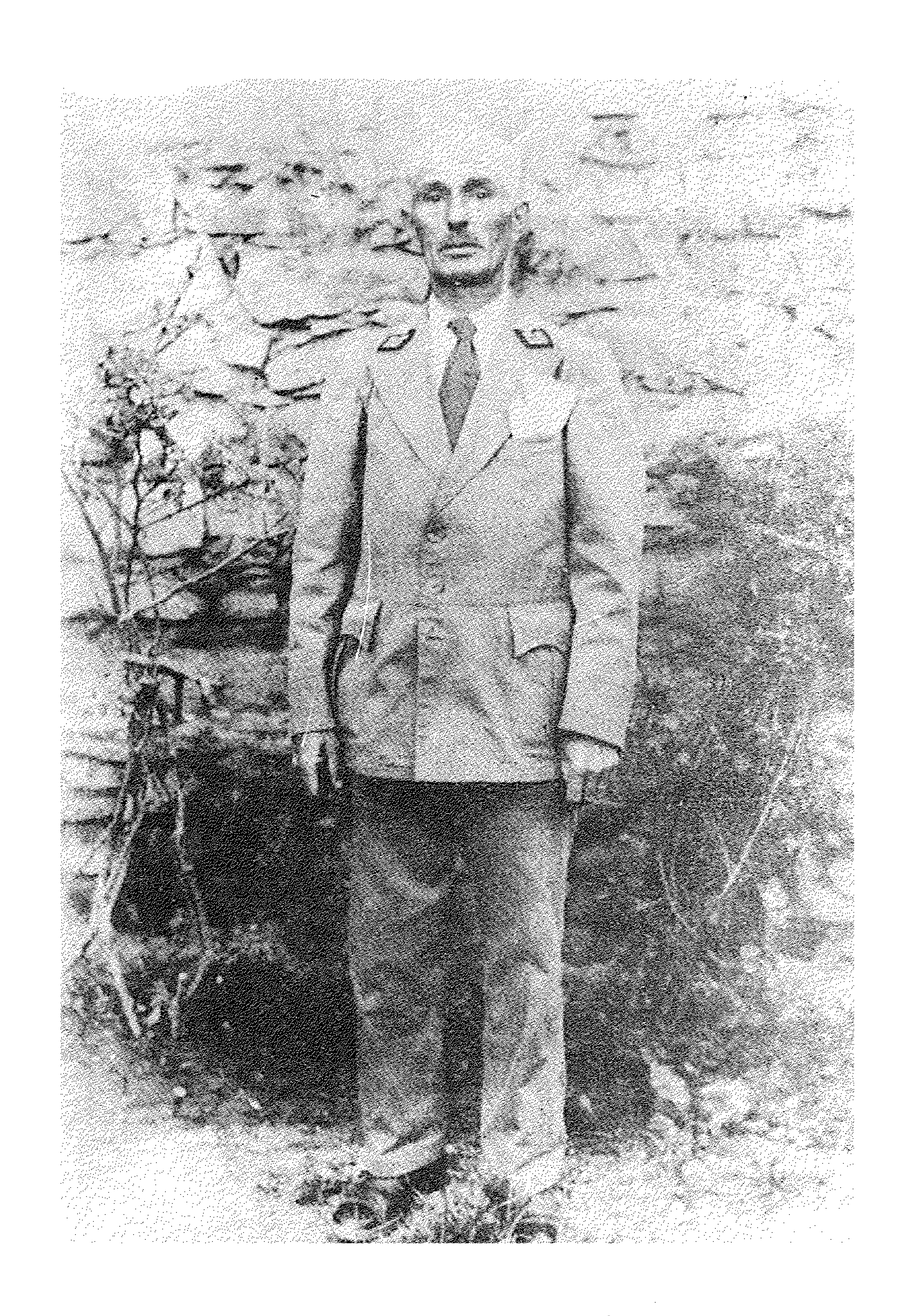
★ ★ ★

قبل أن أكمل هذا الكلام أقول :

أن الشعب العربى يملك من إيمانه بالله ، وثقته بنفسه مايمكنه من فرض إرادته على الحياة .. ليصوغها من جديد وفق أمانيه ...



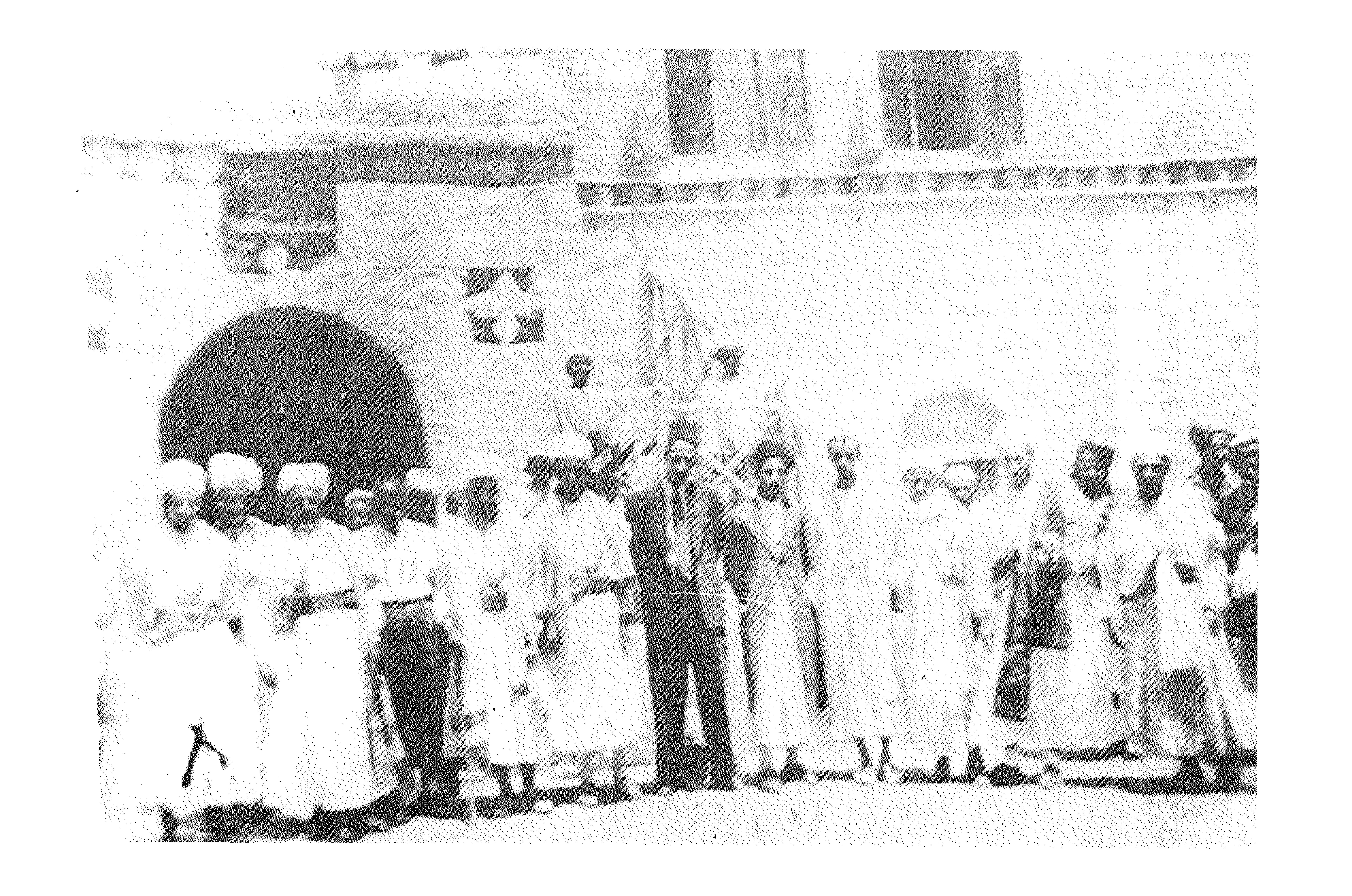
اللواء عبد الله قائد جزيلان نائب رئيس الوزراء
ونائب القائد الأعلاه (سابقا) من مفجرى ثورة
٢٦ سبتمبر سنه ١٩٦٢



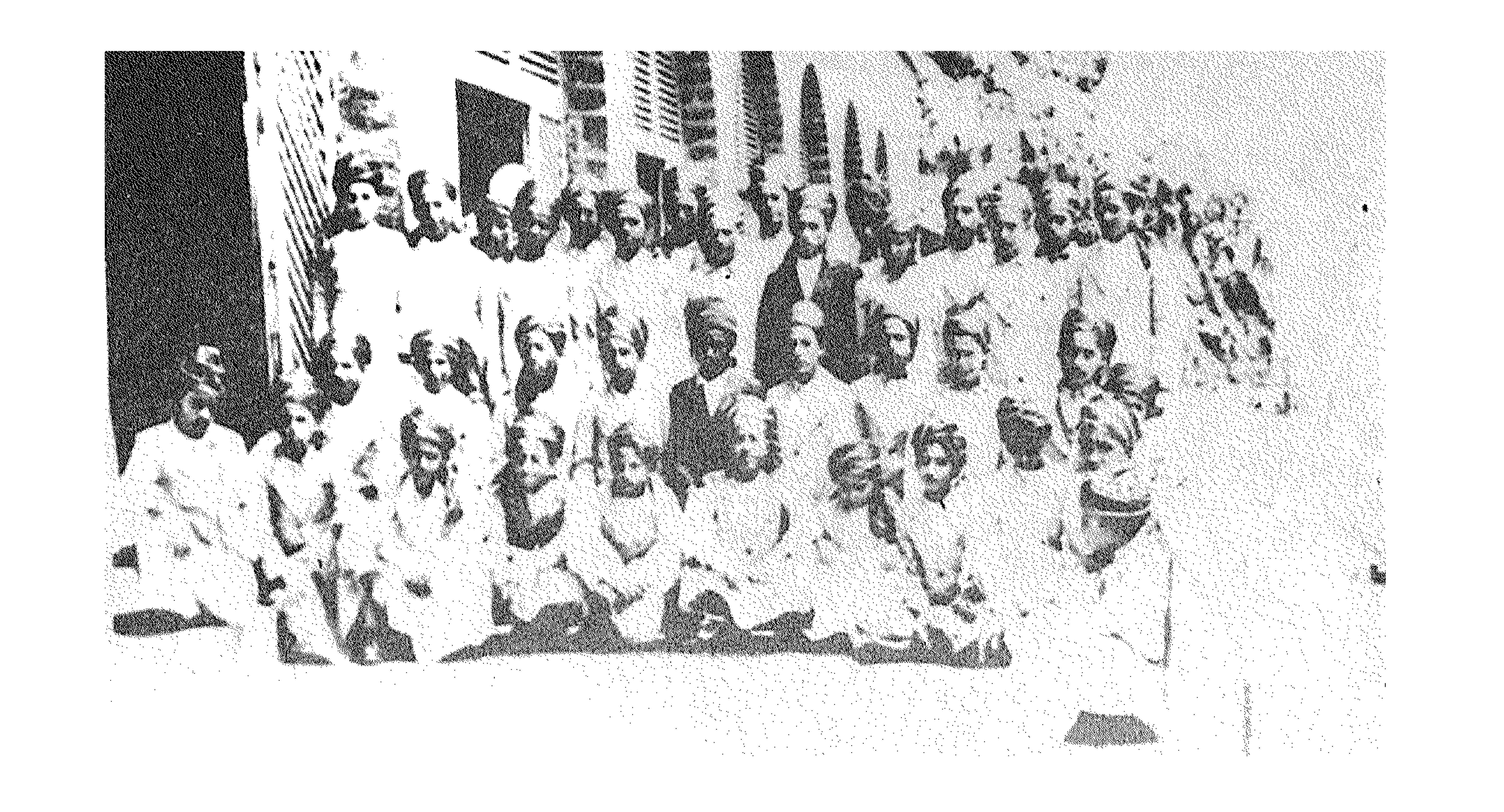
العقيد محمد شوقي من قادة اللواء التركي



المدرسه التى أخرجنا منها الى مسجد الأشرفيه وامامها والدى المرحوم قائد جز يلان



ساحة مدرسة تعز الداخليه و يشاهد الاستاذ المهندس الزراعى عمر الرومى رقم (١) والاستاذ احمد جمال عمار وقد لعب احمد جمال عمار دور كبيراً بين الطلبة الكبار وغيرهم رقم (٢) والأخ صالح محسن رقم (٣) والسيد حسين الويس رقم (٤)



صورة للبعثة التعليمية اليمنية المرسله الى لبنان وقد اخذت هذه الصورة فى بلكونة مدرسة جيل جديد
فى عدن سنه ١٩٤٧م



المسـجد الـذى تحـول الى مـدرسة بأمر من ولى العهد احمد وأسكن المدرسه مستشاره القاضى حسين
الحلامى اخذت هذه الصورة بعد الثورة سنه ١٩٦٣

فهـرس

الناشـــــر
مكتبة مدبولى بالقاهرة
٦ ميدان طلعت حرب
ت ٧٥٦٤٢١

طبعت بالمطبعة الفنية القاهرة ت ٩١١٨٦٢